



جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

منهج النابلسي في التفسير العلمي في تفسيره تدبر آيات الله في  
النفس والكون والحياة

إعداد

محمد نعيم أحمد فرج

إشراف

د. حذيفة هلال بدير

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول دين (عام)، من كلية الدراسات  
العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين.

2024

منهج النابلسي في التفسير العلمي في تفسيره تدبر آيات الله في  
النفس والكون والحياة

إعداد

محمد نعيم أحمد فرج

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2024/10/24، وأجيزت.



التوقيع

التوقيع

التوقيع

د. حذيفة هلال بدير

المشرف الرئيس

د. حسين النقيب

الممتحن الخارجي

د. منتصر أسمر

الممتحن الداخلي

## الإهداء

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التَّوْبَةِ: 105]

إلهي لا تطيب هذه الدنيا إلا بطاعتك ورضائك وعفوك عنا ثم الوصول إلى الجنة.

إلى خاتم المرسلين والمبعوث فينا رحمة للعالمين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

إلى الشهداء من هم أكرم من جميعاً.

إلى شهداء قطاع غزة الحبيب وجرحاه وأسراه الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجلنا.

إلى من بفضلهم تعلمت وكبرت وأشرق النور في قلبي إلى أبي وأمي.

إلى من ساندتني في خطواتي في دراسة الماجستير زوجتي.

إلى الأهل والأصدقاء والأحبة كلهم.

إلى من مهدوا الطريق أمامي للوصول إلى ذروة العلم

أهدي هذا الجهد المتواضع.

## الشكر والتقدير

اعترافاً مني لذوي الفضل بفضلهم، وجهدهم معي، ومن لايشكر الناس لا يشكر الله، فالشكر لله -عز وجل-، ولأصحاب الهمة والفضل عليّ، ومن ساندوني وأعانوني في هذا البحث، فإنني أتقدم بجزيل الشكروالامتتان لهم، وأخص بالذكر مشرفي الدكتور حذيفة هلال بدير، حفظه الله ورعاه، على ما بذله من جهد، وكّد لأصل لما وصلت إليه.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الأفاضل.

أتقدم بالشكر لكل من ساعدني معنوياً وبث فيّ روح العزيمة والإصرار والمثابرة، ودفعني إلى بحر العلم، ولمن دعمني ولو بشيء بسيط لإنهاء هذا البحث.

وأخص بالشكر صديقي الذي دعمني معنوياً لإكمال درجة الماجستير، صديقي الغالي قتيبة ياسين.

إلى كل من ساندني وأعانني في كتابة هذه الرسالة ولو بحرف واحد.

إلى من كان يُشير عليّ بالأفكار والنصائح والتعديلات المناسبة لرسالتي.

إلى أولئك جميعاً، وإلى أهل الفضل عليّ، أقدم شكري ودعواتي، ولله الحمد من قبل ومن بعد على ما نحن عليه.

## الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

# منهج النابلسي في التفسير العلمي في تفسيره تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: محمد نعيم أحمد فرج

التوقيع: محمد فرج

التاريخ: 2024/10/24

## فهرس المحتويات

ج	الإهداء.....
د	الشُّكر والتَّقدير.....
هـ	الإقرار.....
و	فهرس المحتويات.....
ط	الملخص.....
1	المقدمة.....
2	مشكلة الدراسة.....
3	أهداف الدراسة.....
3	أهمية الدراسة.....
3	منهجية الدراسة.....
4	الدراسات السابقة.....
5	الفصل الأول: مفهوم التفسير العلمي وآراء العلماء فيه وضوابطه.....
5	المبحث الأول: تعريف التفسير العلمي وآراء العلماء فيه.....
5	المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي وأهم التفاسير المختصة به.....
13	المطلب الثاني: آراء العلماء في التفسير العلمي وأدلتهم.....
17	المطلب الثالث: آراء العلماء المثبتين للتفسير العلمي وأدلتهم.....
22	المبحث الثاني: ضوابط التفسير العلمي.....
22	المطلب الأول: ضابط موافقة التفسير العلمي للغة العربية.....
23	المطلب الثاني: ضابط موافقة التفسير العلمي للحقائق العلمية.....

24	المطلب الثالث: ضابط موافقة التفسير العلمي للسياق.....
27	المطلب الرابع: ضابط عدم تعرض التفسير العلمي لآيات المعجزات:.....
29	الفصل الثاني: معالم منهج النابلسي في التفسير العلمي.....
29	المبحث الأول: الاعتماد على معاني اللغة العربية في التفسير العلمي.....
29	المطلب الأول: موافقة التفسير العلمي لمعاني اللغة العربية.....
30	المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتفسير العلمي وفق معاني اللغة العربية:.....
34	المبحث الثاني: التنقل بين المناهج في التفسير العلمي للآيات.....
34	المطلب الأول: المقصود بالتنقل بين المناهج في التفسير العلمي للآيات.....
35	المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتنقل بين المناهج في تفسيره العلمي للآيات.....
43	المبحث الثالث: التوسع في التفسير العلمي.....
43	المطلب الأول: المقصود بالتوسع في التفسير العلمي.....
46	المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتوسع في تفسيره العلمي:.....
51	المبحث الرابع: التفسير العلمي للآيات العامة.....
51	المطلب الأول: المقصود بالتفسير العلمي للآيات العامة:.....
52	المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتفسير العلمي للآيات العامة:.....
55	المبحث الخامس: التفسير العلمي للآيات بالحقائق العلمية.....
55	المطلب الأول: المقصود بتفسير الآيات بالحقائق العلمية.....
60	المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتفسير بالحقائق العلمية:.....
67	الفصل الثالث: الإيجابيات والمآخذ على التفسير العلمي للنابلسي.....
67	المبحث الأول: الإيجابيات في التفسير العلمي للنابلسي.....
67	المطلب الأول: موافقة التفسير العلمي لمعاني اللغة العربية.....

72	المطلب الثاني: التفسير بالمأثور والتقل بين المناهج.....
76	المطلب الثالث: ربط التفسير العلمي بالواقع والرد على الشبهات.....
80	المطلب الرابع: موافقة التفسير العلمي للحقائق العلمية.....
84	المطلب الخامس: عدم التعرض للمعجزات بالتفسير العلمي.....
89	المبحث الثاني: المآخذ على التفسير العلمي للنبلسي.....
89	المطلب الأول: توسع النبلسي في التفسير العلمي.....
91	المطلب الثاني: الاعتماد على التأويلات الشخصية (وهي كثيرة في تفسيره).....
95	المطلب الثالث: إهمال الجانب الروحي للقرآن الكريم.....
97	المطلب الرابع: التفسير العلمي للآيات العامة.....
100	المطلب الخامس: الاستعانة بالأحاديث الضعيفة في التفسير العلمي.....
105	الخاتمة.....
105	التوصيات.....
107	قائمة المصادر والمراجع.....
B	Abstract.....

# منهج النابلسي في التفسير العلمي في تفسيره تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة

إعداد

محمد نعيم أحمد فرج

إشراف

د. حذيفة هلال بدير

## الملخص

تناول الباحث موضوع التفسير العلمي عند النابلسي، لبيّن لنا أهميته ومدى مُطابقتها المعايير العامّة للتفسير العلمي وشروطه لكل جزئية، وقُسم إلى ثلاثة فصول، فتحدث الفصل الأول عن مقدمات حول التفسير العلمي وضوابطه، وآراء العلماء المانعين والمثبتين لها، والفصل الثاني تحدثت فيه عن معالم منهج النابلسي في تفسيره مع أمثلة تطبيقية علمية من تفسيره لكل جزئية من تلك المعالم، أمّا الفصل الأخير فقد تحدث فيه الباحث عن الإيجابيات والمآخذ في تفسير النابلسي مع أمثلة تدعمها.

وقد وضحت الدراسة جهود النابلسي الكبيرة في تفسيره العلمي، وربطه للواقع وسعة اطلاعه وتمكنه الكبير من اللغة العربية، واعتماده على الحقائق العلمية، والتفسير وفق المناهج المتبعة في أغلب الأحيان، وعدم تعرضه للمعجزات.

كما أظهرت الدراسة الجانب الآخر من التفسير العلمي الذي خالف فيه منهجه في بعض الأحيان في تفسيره والذي يتمثل في توسعه الكبير، وتفسيره العلمي لبعض الآيات العامّة، واستعانته ببعض الأحاديث الضعيفة مما أضعف الجانب الروحي والعلمي في تفسيره.

وخلصت الدراسة إلى إبراز جهود النابلسي في تفسيره، والموازنة بين إيجابيات منهجه وسلبياته، إذ رجحت كفة الإيجابيات تارة، والسلبيات تارة أخرى، وسيكشف البحث عمّا رجّحه الباحث وأهم ما توصل إليه.

وقد اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي التحليلي، من خلال دراسة تفسير النابلسي العلمي من كتابه: "تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة".

**الكلمات المفتاحية:** النابلسي، التفسير، العلمي.

## المقدمة

الحمد لله جليل النعم، عظيم المنن، باعث الهمم، ذي الجود والكرم، علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على السراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين، بلغ الرسالة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، أمّا بعد:

فالله \_جل علاه\_ سخر لنا السماوات والأرض واستخلفنا في الأرض، وجعل لنا نظامًا، وأنزل لنا تشريعًا متكاملًا وأتم علينا نعمته، وأنزل علينا القرآن الكريم ليكون لنا خير دليل وهداية تُناسب البشرية جمعاء ومناسبة لهذا الكون الذي سخره لنا بعلمه وقدرته، فأبدع الخالق سبحانه في صنعه الذي أتقن كل شيء، إبداعه الذي لا ينتهي ففي كل يوم نكتشف أمرا يبهر كل ذي لب ويبين لنا مظاهر قدرة الله وعظمته؛ ولأن عنوان الدين هو كتاب الله وكلامه فهو كلمة الفصل والحجة على كل إنسان لذلك نجد علماء الأمة دوماً يبحرون في كتاب الله في كل مضمار، ومع تطورات الكون المتسارعة والعلوم التي أحدثت معرفة للكثير من الأمور التي لم تكن معروفة لدى الناس أصبح هناك علم جديد في تفسير القرآن الكريم وهو التفسير العلميّ بناءً على اكتشافات العلماء الحديثة والموثوقة والمبنية على البراهين والأدلة فنجد أن هناك الكثير من الآيات تحتوي على أمور علمية دقيقة إما بطريقة مباشرة أو بطريقة تحتاج للفهم والتعمق فيها، فيقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:53] فهناك دوماً نداء من الله سبحانه وتعالى للتفكر في مخلوقاته لاستكشاف عظمته وقدرته وإبداعه في الخلق وإعجازه الذي يبهر البشر ولا يستطيعون الإتيان بمثله.

فسلك العديد من العلماء هذا المسلك العلميّ وفسروا بعض آيات القرآن الكريم بناءً على هذه الأمور المكتشفة حديثاً لتكون أدلة إضافية دامغة تقيم الحجة علينا وتثبت كل يوم أن هذا الكتاب معجز.

وعند البحث عن العلماء الذين نهجوا هذا النهج وجدت العديد منهم سلكوا هذا الطريق وتكلم العلماء عنهم كثيرا وعن منهجهم، فاستخرت الله تعالى، وسألته التوفيق والسداد في بحث يُفيد الأمة ويزيد من العلوم لدي وللناس، فيسر الله لي عُمره لبيته الحرام، وطُفت بالكعبة الشريفة ألهج بالدعاء أن يبسر لي هذا الأمر، حتى يسر الله لي الأمر والأشخاص، فكان الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله من الشخصيات البارزة والمعروفة التي يشار إليها بالبنان قد سلك المنهج العلمي في عدد كبير من آيات الله تعالى يزيد عن الألف وثلاثمئة آية تكلم عنها في محاضراته المسجلة والتي كنا دوما ننتظرها على المحطات التلفزيونية والسمعية نسمعها بقلوبنا وتدهشنا كلماته وتفسيره الذي يدلنا على الخالق وعظمته، ولكون هذه المحاضرات تم تدوينها في كتاب للدكتور محمد راتب النابلسي أصبح من السهل الرجوع إليها وقراءتها، فقررت الكتابة في هذا الموضوع ودراسته بشكل علمي للوقوف على مزاياه وجوانبه وسلبياته، وذلك بالاحتكام لضوابط التفسير العلمي، ففي دراستي هذه سأتعرف على مفهوم التفسير العلمي وضوابطه، ومعالم منهج النابلسي في تفسيره العلمي، والإيجابيات والمآخذ على تفسيره، مُدعماً بالأمثلة التطبيقية على كل جانب.

### مشكلة الدراسة

تمحورت هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس وهو: (ما هي معالم منهج النابلسي في تفسيره العلمي؟)

والإجابة على هذا السؤال تقتضي الإجابة عن الأسئلة الفرعية:

1. هل بنى النابلسي تفسيره العلمي على حقائق علمية مضبوطة بالأدلة والبراهين أم على نظريات غير

معتمدة؟

2. ما هي الإيجابيات والمآخذ في التفسير العلمي للنابلسي؟

## أهداف الدراسة

يأتي هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان وتوضيح مفهوم التفسير العلمي وضوابطه.
2. توضيح معالم منهج الدكتور النابلسي في التفسير العلمي مع الأمثلة التطبيقية.
3. بيان الإيجابيات والمآخذ على التفسير العلمي للنابلسي مع أمثلة علمية من تفسيره تدعم ذلك.

## أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في أنها تتحدث عن عالم مشهور ومعاصر ولون جديد من التفسير وهذه الدراسة سلطت الضوء على أمور عدة أهمها:

1. بيان ضوابط التفسير العلمي الصحيح ومدى التزام النابلسي في تفسيره بهذه الضوابط.
2. عدم وجود دراسات تحدثت عن التفسير العلمي بشكل مُفصل في تفسير النابلسي مع أنه تميز بهذا اللون، وشهرته كبيرة بين الناس.
3. كثرة الجدل والحديث عن التفسير العلمي المعاصر لوجود العديد من التفسيرات بعيدة عن المنهج العلمي.

## منهجية الدراسة

اقتضت طبيعة الدراسة اعتماد المناهج الآتية:

المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي، من خلال دراسة تفسير النابلسي العلمي من كتابه: "تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة"، وتتبع الآيات التي تحدث عنها وفسرها تفسيراً علمياً لمعرفة المنهج المُتبع فيها.

## الدراسات السابقة

بعد البحث في هذا الموضوع وجدت دراسات عديدة للتفسير العلمي، لكنني لم أجد دراسات معمقة عن منهج الدكتور النابلسي العلمي في تفسيره، فقامت بالبحث والتفصيل فيه، ووجدت بعض الدراسات العامة عن التفسير العلمي، ودراسة مقارنة على النحو الآتي:

- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين الدكتور محمد راتب النابلسي والدكتور زغلول النجار: للباحث نضال يوسف أبو ميالة، رسالة ماجستير في جامعة الخليل، بإشراف الدكتور غسان هرماس عام 2019، وهي دراسة مقارنة لا تتطرق بشكل كافٍ لمنهج النابلسي في تفسيره العلمي بل هي تقارن بين نماذج مختلفة من الآيات.
- الإعجاز العلمي تاريخه وضوابطه للدكتور عبد الله المصلح، ط2، 2006م، وهو كتاب يبين الخطوط العريضة للإعجاز العلمي وضوابطه.
- منهج النابلسي في تفسيره: للباحث زهران عمر زهران، وهو بحث محكم قصير لا يتطرق للجانب العلمي بشكل كافٍ وضوابطه عند النابلسي ويكتفي بالإشارة إليها، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الرابع، 2021، الصفحات من 9-30.

## الفصل الأول

### مفهوم التفسير العلمي وآراء العلماء فيه وضوابطه

#### المبحث الأول: تعريف التفسير العلمي وآراء العلماء فيه

#### المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي وأهم التفاسير المختصة به

أولاً: تعريف التفسير العلمي: التفسير لغة: مصدر فسّر، أي الإبانة والكشف<sup>1</sup>؛ أي كشف المجهول من المراد بلفظه المشكل، وإظهار للمعنى المحتبس عن الفهم<sup>2</sup>.

التفسير اصطلاحاً: للتفسير في الاصطلاح تفسيرات كثيرة تختلف باختلاف الموضوعات المتناولة في التفسير، عزّفه الزركشي بأنّه: "علم يفهم به كتابُ الله تعالى المنزل على نبيه محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه<sup>3</sup>، ويعرّفه السيوطي بأنّه: "علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ومن ثمّ ترتيب مكّيها ومدنّيها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعمّاها، ومطلقها، ومجمّلها ومفصلّها، وحلالها وحرامها، ووعدّها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمّثالها<sup>4</sup>، وتتفق التفسيرات على كون التفسير علم له قواعده وأصوله التي ينبغي على المفسّر الإلمام بها وبهديها ليكتشف المقصود من آيات الله سبحانه بقدر فهم المفسّر وببشريته القاصرة بعد التقيد بتلك القواعد العلميّة.

شمولية التفاسير: وتشمل تلك التعريفات جل أنواع التفسير التي تُعنى بلغة القرآن وبلاغته وأحكامه وقصصه وحكمه وأخباره، وتشمل كذلك التفسير العلمي \_ موضوع بحثنا \_.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري(ت:711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، (55/5).  
<sup>2</sup> ينظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم (ت:502هـ): مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق، صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، 1376هـ، ص387.

<sup>3</sup> الزركشي، بدر الدين مُحمّد بن عبد الله (ت:794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376هـ، (13/1).

<sup>4</sup> السيوطي، جلال الدين، (ت:911هـ): الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (74/2).

تعريف التفسير العلمي: أما تعريف التفسير العلمي، فقد تباينت الآراء حول مصطلح التفسير العلمي منذ أن ظهر في القرن الرابع عشر الهجري بين مؤيد له ومعارض، وتبعاً لذلك عُرِف بتعريفات كثيرة لم تسلم من الملاحظة والنقد.

- فيعرفه الدكتور زغول النجار: توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، وهذه المعارف قد تكون قوانين وحقائق أو فروصاً ونظريات<sup>1</sup>.
- ويعرف الدكتور فهد الرومي التفسير العلمي بأنه: "اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجازاً للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمانٍ ومكان<sup>2</sup>."

التعريف الذي يراه الباحث: أما التعريف الذي يريجه الباحث فهو تعريف الشيخ عبد المجيد الزنداني: "الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية"<sup>3</sup>، وتعريف الزنداني يعتمد على الترجيح القوي وفق الأدلة والبراهين لا مجرد نظريات وهمية نكتشف فيما بعد عدم صحتها وتُعدّها عن الواقع كالنظريات التي غزت العالم كنظرية "داروين"<sup>4</sup>، وتهافت بعض العلماء ليجعل لها أصلاً في كتاب الله ثم تبين بطلانها وسخافتها.

<sup>1</sup> زغول النجار، زغول راغب محمد النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، (35/1).

<sup>2</sup> فهد الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء في السعودية، ط1، 1407هـ، (549/2).

<sup>3</sup> الزنداني، عبد المجيد بن عزيز الزنداني، (ت: 2024م): تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 24.

<sup>4</sup> نظرية النشوء والارتقاء التي قال بها دارون تتبنى فرضية تاريخية عن الإنسان وهي "إن الإنسان تسلسل ضمن حلقات مختلفة من التطور النوعي، تدرج فيها من البسيط إلى المعقد ومن البدائية إلى الرقي في كل من الشكل والفكر" (البوطي، محمد سعيد البوطي، (ت: 2013م)، كبرى اليقينات الكونية، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1979م، 253.

ثانيا: التعريف بأهم التفاسير العلميّة:

أ. تفسير النابلسي:

وقفه مع حياة الدكتور محمد راتب النابلسي:

مولد النابلسي ونشأته: ولد في دمشق لأسرة حظها من العلم وافر، وكان والده من علماء دمشق، وكان يدرس في مساجدها، تخرج في جامعة دمشق عام 1964م، إذ حصل على (ليسانس) في آداب اللغة العربيّة وعلومها، ثم التحق بكلية التربية ليتابع دراساته العليا ويحصل على شهادة الدكتوراه في التربية بناءً على إنجازاته وخبراته ومؤلفاته في مجال التربية، وتقديراً لجهوده في خدمة الدعوة الإسلامية؛ حصل على الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية المفتوحة والمتخصصة في العلوم الإسلامية والعربية، وذلك ضمن حفل خاص أقيم في عمان عام 2015 ميلادي.

عمله: عمل الدكتور النابلسي في التعليم الثانوي الرسمي، ثم الجامعي فكان محاضراً في كلية التربية بجامعة دمشق، وعمل بعدها أستاذاً لمادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في جامعة الأزهر، وأستاذاً لمادة العقيدة الإسلامية، ألف عدداً من الكتب وشارك في تأليف أخرى متعلقة باختصاصه الجامعي، وقد طلب العلم الشرعي في وقت مبكر من حياته، فدرس التفسير والحديث والفقه والسيرة والفرائض، ونال إجازة إسلامية في رواية الحديث الشريف من أستاذه في كلية الآداب الدكتور الشيخ صبحي الصالح أستاذ علوم القرآن والحديث واللغة في جامعة دمشق.

مؤلفاته: للدكتور محمد راتب النابلسي مؤلفات كثيرة من أبرزها وأشهرها: "تفسير النابلسي للقرآن الكريم"، و"موسوعة أسماء الله الحسنى"، وكتاب "أولادنا الورقة الرابعة الأولى"، و"متى نصر الله"، و"منهج التائبين" و"موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة"، و"نظرات في الإسلام"، وقوانين من القرآن الكريم، وكتاب ومضات في الإسلام<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> موقع الدكتور محمد راتب النابلسي الرسمي على الشبكة العنكبوتية:  
<https://web.archive.org/web/20180922190705/http://nabulsi.com:80/blue/ar/biography.php>

تعريف بتفسير النابلسي:

اسم التفسير: "تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة" والسرُّ في تسميته أنه لا يعدو كونه تدبر لآيات الله الكونية والتكوينية.

بداية التفسير: كان النابلسي يقدم دروساً أسبوعية مسجلة في مسجد الشيخ عبد الغني النابلسي في دمشق، بدأ فيها بتفسير الأجزاء العشرة الأخيرة من القرآن الكريم، ثم فسّر العشرة الثانية، ثم فسّر العشرة الأولى، ليتم بذلك تفسير القرآن الكريم في أربعين عاماً تقريباً، فكانت هذه الدروس بداية هذا الكتاب الذي تحول من دروس مسموعة إلى كتاب ورقي مطبوع في عشرة أجزاء، دفع به إلى ثلثة من طلبة العلم الذين ساروا على منهج واضح ومحدد بوضع الآية المراد تفسيرها، ثم تخريجها، وأما الأحاديث فقد ذكروا مخرجها، وراويها، وبالنسبة للمسائل العلميّة تكفل جمع من المختصّين بمراجعتها.

مما اعتنى به المفسّر:

- العناية بالآيات التي تتحدث عن الكون وخلق الإنسان، وتفسيرها تفسيراً علمياً؛ كون التّفكّر من أقصر الطرق التي توصل إلى الله تعالى.
- ربط القرآن الكريم بالواقع كونه منهج حياة.
- ذكر القصص الواقعية من التاريخ، أو من الواقع؛ لترسيخ المعنى وتثبيتته، والإكثار من ضرب الأمثلة.

المنهج العام في تفسير النابلسي: تناول النابلسي الحديث عن آيات كتاب الله بشكل كامل، افتتح الحديث عن جملة من السور بمقدمة تناول فيها اسم السورة وفضلها، وأحياناً يعرض صورة عامة عن السورة من حيث محتواها، فالنابلسي يتعامل مع النص القرآني على أنه منهج حياة، وللآيات العلميّة مكانة كبرى في تفسيره، وهو يعتني بالآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان والكون وتفسيرها تفسيراً علمياً انطلاقاً من أن التّفكّر أوسع باب وأقصر طريق نصل من خلاله إلى الله على حد تعبيره، والتي تزيد في نظر الدكتور

النايلسي عن ألف آية<sup>1</sup>، فهو يفسر الآية القرآنية تفسيراً لفظياً، مع الآيات التي تعينه على فهم الآية، وكثيراً ما يستدل بأحاديث نبوية تعين على فهم النص، أو نقولات عن الصحابة أو التابعين، ويعتمد في أكثرها على أمّات كتب تفسير القدماء، ويستعين بكتب المعاصرين أحياناً، ويكثر من الاستشهاد بالأشعار، ولا يتوسع في تناول أسباب النزول والخلافات المذهبية إلا بما يعين على فهم النص، فالكتاب يخلو من المماحكات اللفظية، ويكثر من ضرب الأمثلة التي تقرب المعنى للقارئ، وتعيّنه على فهم الآية، فهو تفسير يخاطب العقل والقلب والروح، فيظهر جلياً مخاطبته للفكر والعقل من خلال طرحه للأمر العلميّة، ويظهر تأثير أسلوبه الوعظي على ألفاظه وعبارته<sup>2</sup>.

ب. تفسير طنطاوي جوهرى:

وقفه مع حياة طنطاوي جوهرى: طنطاوي جوهرى هو عالم وكاتب مسلم مصري، يُعتبر من أبرز الشخصيات الفكرية في القرن العشرين. اشتهر بجمعه بين العلوم الشرعية والعلمية، وبمساهماته في مجالات التفسير والفلسفة والاجتماع.

أبرز جوانب حياته وإسهاماته:

عالم أزهري: تلقى طنطاوي علومه في الأزهر الشريف، وتعمق في دراسة التفسير والفقه والحديث.

مؤلف "الجواهر في تفسير القرآن الكريم": يعد هذا التفسير من أهم إنجازاته، حيث حاول فيه الجمع بين التفسير اللغوي والتاريخي والعلمي، وربط آيات القرآن الكريم بالواقع المعاصر.

داعية للتجديد: كان طنطاوي من دعاة التجديد في الفكر الإسلامي، ودافع عن أهمية مواكبة العصر والتفاعل مع الحضارات الأخرى.

<sup>1</sup> ينظر: النايلسي، محمد راتب، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النايلسي"، (ط1)، 2016م، عمان: مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، 15-12/1.

<sup>2</sup> المصدر السابق: 15/1

ناشط سياسي واجتماعي: شارك في الحركات الوطنية المصرية، وكان من أبرز المناصرين للاستقلال.

شخصية متعددة المواهب: لم يقتصر اهتمامه على الشأن الديني، بل شمل مجالات الموسيقى والفنون، وكان له آراء عميقة في هذه المجالات<sup>1</sup>.

تفسير الجواهر: شهد تفسير القرآن الكريم قديماً وحديثاً إقبالاً كبيراً، فكانت حركة التفسير لها مناهج واتجاهات مختلفة، من أجل إمطة اللثام عن ما ترنو إليه ألفاظ القرآن الكريم وأحكامه، والوصول إلى معاني آياته وكلماته وأسرارها، وفهم غاية كل مفسر وقصده في فهم صحيح للقرآن الكريم.

وستتعرف على أحد التفاسير القرآنية المعاصرة والمهمّة، وما يميّزه من طابعه الخاص عن بقية التفاسير، وهذا التفسير الذي أطلق عليه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات)، ويظهر من تسمية طنطاوي جوهرى أنّ تفسيره يندرج ضمن الاتجاه العلميّ في التفسير، ويُعد طنطاوي من أكثر العلماء المتأخرين المشهورين بالقول بالتفسير العلميّ، فلا يُذكر التفسير العلميّ إلا ويذكر طنطاوي وتفسيره الجواهر، فهو من أهم وأشمل التفاسير التي تناولت قضية التفسير العلميّ في كامل القرآن الكريم<sup>2</sup>.

دوافع طنطاوي لتفسيره وقصده منه:

خاض طنطاوي غمار هذا اللون من التفسير محاولاً تلبية حاجيات المسلم المعاصر، وبيّن اهتمام القرآن الكريم بالعلم والدعوة إليه، ومعرفة معاني الآيات القرآنية التي تتضمن إشارات علميّة، وتشجيع المسلمين على العلم والمعرفة ليتفوقوا على الحضارة الغربية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر، عبد الله، مناس، اسماعيل عبدالله وسيوطي عبد المناس : منهج الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، مجلة الإسلام في آسيا، العدد الثاني، يونيو 2011م، الصفحات 3-6.

<sup>2</sup> ينظر، مناس، منهج الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره " الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، ص33-44.

<sup>3</sup> ينظر: طنطاوي: جوهرى، (ت:1940م): الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة البابي الحلبي وأولاده مصر، ط:2/1350هـ، ج1/1.

الجواهر في تفسير القرآن أول محاولة عصرية كاملة في التفسير العلمي:

لقد كتب العلماء في التفسير العلمي، لكن كتاباتهم وتفسيرهم لم تكن شاملةً مستوعبةً للقرآن الكريم كله، بل كانت أشبه ما يكون بالمقالات التفسيرية، أو صفحات قليلة في بعض التفاسير، أو تفاسير تجمع الآيات في الموضوع الواحد وتسمى "تفاسير موضوعية" كموضوع السماء في القرآن الكريم والجبال، أما طنطاوي فقد تميز بأنه لم يخصص مقالات معينة ولا صفحات معدودة بل أفرد له تفسيره كله، فكان تفسير طنطاوي موسوعةً علميةً، تشبه دائرة المعارف<sup>1</sup>.

قيمة تفسير: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"

يُعد تفسير الجواهر من أهم التفاسير المعاصرة، فقد تناول الكتاب والدارسون تفسيره بالبحث والنقد والتعليق، وتباينت آراؤهم حول تفسيره.

أولاً: مآخذ على تفسير طنطاوي وما عليه من مثالب:

يؤخذ على طنطاوي في تفسيره مآخذ بسبب تحميل القرآن الكريم علوماً ونظرياتٍ مستحدثةً لا عهد للعرب بها، وبعيدة عن القرآن الكريم ومقصده، وقد صادرت المملكة العربية السعودية هذا التفسير ومنعت دخولها إلى أراضيها؛ بسبب منهجه في تحميل الآيات مختلف العلوم والنظريات التي لا صلة للقرآن الكريم بها<sup>2</sup>.

بعض المآخذ على تفسير طنطاوي جوهرى:

1. تعسف طنطاوي وتكلفه في التفسير العلمي، بتحميل القرآن الكريم على العلوم المعاصرة، وربط القرآن

الكريم بكل النظريات الحديثة، والميل بالقرآن الكريم عن مقصده الأسمى وهو الهداية، "فالمانعون لهذا

<sup>1</sup> فضل عباس: فضل حسن عباس: (ت:1432هـ): التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2016، (306/2).

<sup>2</sup> الذهبي: محمد حسين الذهبي، ت:748هـ: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط8، 2003، (2/372).

التفسير ، لاحظوا جنوح صاحبه، بل ولوعه الشديد بإخضاع الآيات القرآنية وقهرها لكي تحمل الكثير من مسائل العلوم الكونية، وهذا تعسف ظاهر وميل بالقرآن عن مقصده الأسمى، ألا وهو هداية البشر لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة<sup>1</sup>.

2. إخضاع كتاب الله لخياله الخصب الذي تميز به: فكان يُخضع القرآن الكريم لما يتخيله في معانيه، والأولى أن يُسمى كتابه جواهر العلوم بدلا من جواهر التفسير فهو في واد والتفسير في واد آخر<sup>2</sup>.
3. استشهاده أحيانا بما جاء في الإنجيل: وأكثر ما يعتمد فيه من النقل عن إنجيل "برنابا" فهو كما يرى أصح الأنجيل، بل ويرى أنه الإنجيل الوحيد الذي لم تصل إليه يد التحريف والتبديل<sup>3</sup>.
4. استعانته بما يسمى حساب الجمل الذي لا يوصل إلى حقيقة ثابتة: وشرحه لبعض الحقائق الدينية مع أنها تخالف الثابت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم<sup>4</sup>.

ولعل هذه المآخذ هي مجمل ما أخذ عليه من أخطاء منهجية، بسببها هاجمه الكثيرون، كما عبّر عنها الخالدي أن فيه كل شيء إلا التفسير إذ يقول: (وقد بالغ الجوهرى كثيرا في التفسير العلمي، وخرج من التفسير إلى شرح مسائل عديدة في مختلف الميادين، ويصح أن يقال عنه: فيه كل شيء إلا التفسير)<sup>5</sup>.

مزايا تفسير طنطاوي ومحاسنه:

على الرغم من المآخذ على تفسير طنطاوي فإنه لم يخلُ من الجوانب الإيجابية والقيمة العلمية بين كتب التفسير، فهو مدرسة جديدة مفيدة للمسلم المعاصر وله إيجابيات عديدة تحفظ مكانته العلمية، منها:

1. تأكيد طنطاوي على كون القرآن كتاب هداية لا كتاب تاريخ وعلوم<sup>6</sup> وعدم خوضه في كثير من المبهمات في القرآن الكريم، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ

<sup>1</sup> المحتسب: عيد السلام عبد المجيد: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، مكتبة النهضة الإسلامية الأردن، ط:3/1982، (27-276).

<sup>2</sup> الحديدي: محمد الطير، اتجاه التفسير في العصر الحديث، مجمع البحوث الإسلامية القاهرة، 1975، ص73.

<sup>3</sup> الذهبي: التفسير والمفسرون، ج2/373.

<sup>4</sup> المصدر السابق: ج2/273.

<sup>5</sup> الخالدي: صلاح عبد الفتاح، ت 1443هـ: تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، دار القلم دمشق، ط3/2008، ص567.

<sup>6</sup> طنطاوي جوهرى: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 199/9.

وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿البقرة:35﴾، قال: (ونهايا

عن الاقتراب من شجرة لا يهتم تعيينها للناس)<sup>1</sup>.

2. حرصه على توضيح مقاصد السور، وذلك بتقسيم السورة إلى عدة أقسام وذكر مقصد كل قسم وهو ما

استحدثه طنطاوي في تفسيره ولم يكن معروفا من قبل<sup>2</sup>، وهذا التفسير يطلق عليه التفسير المقاصدي،

وهو ما جعل تفسير طنطاوي مهما، فمثلا في سورة النساء ذكر أن لها تسعة مقاصد<sup>3</sup>.

3. تميز تفسير طنطاوي بحثه الشديد للعلماء والمسلمين على التزوّد من العلوم والإقبال عليها من أجل

الارتقاء للأفضل، وعدم التركيز فقط على العلوم التي برع فيها الآباء كالفقه مثلا<sup>4</sup>، فقد فتح عيون

المسلمين على كنوز كتابهم، وكشف عورات الغرب ومدنيته الحديثة، واستنهض هم أهل الشرق

والمسلمين للاطلاع بدورهم الطبيعي في قيادة الأمم وريادتها<sup>5</sup>.

4. دفع المسلمين إلى البحث العلمي وحفزهم عليه، "قلو لم يكن له فضل سوى دفع المسلمين إلى إنتاج

سبيل جديد في حل إشكالية العلاقة بين العقل والنقل، وبقوة قلما نشهد لها حضورا في تفاسير ضخمة،

فإن ذلك كفيل بتقدير جهوده البناءة، وتعظيم همته العالية، وغيرته الطافحة على الدين وأهله"<sup>6</sup>.

فعلى الرغم من المآخذ في تفسير طنطاوي إلا أنه يحوي قيمة علمية مهمة بين كتب التفسير، ويعتبر

مدرسة جديدة مفيدة للمسلم المعاصر تحفظ مكانته العلمية.

### المطلب الثاني: آراء العلماء في التفسير العلمي وأدلتهم

كان للتطور العلمي أثر كبير في فكر الإنسان، وزعزعة الكثير من ثوابته وأركان اليقين لديه، فكانت الكتب

السماوية والدين من ضمنها، وقد انقسم العلماء بشأن التفسير العلمي إلى فريقين: فريق أنكر التفسير

<sup>1</sup> المصدر السابق: 1/53

<sup>2</sup> إسماعيل عبد الله وسيوطي عبد المناس: منهج الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره، ص6.

<sup>3</sup> طنطاوي جوهرى: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 2/3.

<sup>4</sup> المصدر السابق: 25/55-56.

<sup>5</sup> ينظر: شريف، محمد إبراهيم: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر مصر، ط1، 2008، ص503.

<sup>6</sup> إسماعيل عبد الله وسيوطي عبد المناس: منهج الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره، ص43.

العلمي، وفريق دافع عن التفسير العلمي وأثبتته، وكان لكل فريق حججه وبراهينه، فكانت تتبع مواقفهم من حرصهم على القرآن الكريم، بحفظ قدسيته وتنزيهه، أو بيان صلاحيته لكل مكان وزمان بعلومه ومعارفه في خدمة البشرية والهداية والكمال في الدنيا والآخرة.

المعارضون للتفسير العلمي: انقسم المعارضون للتفسير العلمي إلى قسمين: قسم يرفض وجود الإعجاز العلمي في القرآن الكريم رفضاً مطلقاً، وقسم يقر بوجود آيات تشير إلى علوم كثيرة، ولكنهم لاعتبارات تتعلق بحرصهم على القرآن يرفضون التفسير العلمي لتلك الآيات، ومن أهم العلماء القدماء والمحدثين.

1. أبو إسحاق الشاطبي (ت: 790هـ) ويمثل العلماء القدماء الراضين بالتفسير العلمي بشكل مطلق، إذ أورد رفضه لهذا اللون من التفسير في كتابه (الموافقات)، لذلك أخطأ الذين أضافوا إلى كتاب الله كل علم يذكره العلماء من علوم الطبيعيات والمنطق وأشباهها، ويعلل عدم احتجاجه بهذا اللون من التفسير بأنه لم يرد عن السلف الصالح أو الصحابة والتابعين، وهم الأعلام بعلوم القرآن الكريم وما أودع فيه<sup>1</sup>، كما رد على الذين استدلوا على اشتمال القرآن الكريم للعلوم كافة بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، بأن المراد هو ما يتعلق بالتكليف والتعبد وما يتعلق به، ورد على الذين استدلوا بقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38] أن المراد في هذه الآية اللوح المحفوظ وهو الكتاب الذي تحدثت عنه، وأن المفسرين لم يذكروا أن الآية تتضمن جميع العلوم العقلية والنقلية، وعاب طريقتهم في تفسير فواتح الصور بطريقة لم يعدها العرب<sup>2</sup>.

1. الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطبي): وأول ما يقلق بنت الشاطبي في الدعوات لفهم القرآن فهما عصرياً، أن يبتعد الناس عن معجزة النبي محمد \_ صلى الله عليه وسلم \_ الأمي الذي بعث في قوم

<sup>1</sup> ينظر، اسماعيل عبد الله وسيوطي عبد المناس: منهج الشيخ طنطاوي جوهر في تفسيره، 127/2

<sup>2</sup> انظر، الشاطبي، الموافقات، 129-128/2.

أميين؛ ظنا منهم عدم صلاحية القرآن الكريم لزماننا كونه في نظرهم لا يقدم لهم علوم الذرة والطب والتشريح وكل العلوم، لذلك فإنهم باسم العصرية والعلم يرفضون فهم القرآن الكريم كما فهمه الصحابة في مدرسة النبوة وعصر بعثة النبي \_ صلى الله عليه وسلم، يفهمونه بفهم بعيد عن عصر النبوة وقريب الى بدع هذا الزمان<sup>1</sup>.

رفض بنت الشاطئ للتعسير العلمي المفرط المغالي:

لم تمنع بنت الشاطئ التعسير العلمي وكل ما يتصل به، بل ترفض ما لم يخضع لشروط وضوابط، فهي ترفض التعسير الذي يعمد إلى الإفراط والمغالاة<sup>2</sup>.

أشهر من يمثل هذه الفئة:

ومن أشهر العلماء الذين يمثلون هذه الفئة مع بنت الشاطئ: الشيخ أمين الخولي، وسيد قطب، ومحمد حسين الذهبي، والإمام محمد شلتوت، والأستاذ عباس محمود العقاد، والدكتور عبد السلام المحتسب، والشيخ يوسف القرضاوي وغيرهم، فقد اتفق أصحاب هذه الفئة مع الإمام الشاطبي في رفض التعسير العلمي للقرآن الكريم، لكنهم خالفوه، بعدم وجود تضارب بين حقائق العلم والقرآن الكريم، فرفضوا الغلو والمبالغة، والتطويل الخاطئ الذي يمس العقيدة الإسلامية وأسسها، وأقروا بوجود آيات من القرآن الكريم تشير إلى موضوعات علمية ولا تتعارض مع العلم الحديث وما قرره<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر: بنت الشاطئ، القرآن والتفسير العصري، ص10-12.

<sup>2</sup> انظر: فرج، السيد أحمد فرج، التفسير البياني في مواجهة التعسير العلمي للقرآن، الطبعة 1، 2000م، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص65.

<sup>3</sup> ينظر: خولي، أمين الخولي، (ت:1996م) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة القاهرة، ط1، 1961م، ص294-295.

## أدلة المعارضين للتفسير العلمي:

ساق الشاطبي هذه الأدلة وكرر من جاء من بعده هذه الأدلة وزادوا عليها، فاجمعوا على بعضها، وتفرد

بعضهم ببعضها، ويمكن إجمال أسباب رفضهم بما يلي:

1. عدم ورود هذا اللون من التفسير عن النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة والتابعين<sup>1</sup>.
2. كون التفسير العلمي يتنافى مع خطاب القرآن الكريم الموجه إلى عموم الناس، فالتفسير العلمي موجه لأهل الاختصاص من العلماء<sup>2</sup>.
3. أن العلم متغير في نظرياته كونه يعتمد على التجريب، بينما يتسم القرآن الكريم بالثبات والاستقرار، فهناك اختلاف في المنهج بينهما في تبليغ الحقائق، ولا يمكن محاكمة الثابت من حقائق القرآن الكريم بالمتغير أي العلم ونظرياته؛ لأنه يجعل التفسير عرضة للانحراف، وفيه انتهاك لقدسية القرآن<sup>3</sup>.
4. أن الإعجاز القرآني ينحصر في الإعجاز البياني لوجوده في جميع آيات القرآن الكريم، على عكس الإشارات العلمية التي لا تشمل جميع آيات القرآن الكريم، ولأن الله تحدى الكفار بأن يأتيوا بمثله القرآن وهم أهل الفصاحة والبيان في حينها، ولا يصح أن يتحدى الكفار بأمر لا يعرفونها<sup>4</sup>.
5. أن العلم يسعى لمعرفة أسرار الطبيعة والاستفادة منها، على عكس القرآن الكريم الذي هو كتاب هداية وبيان للعقيدة الإسلامية، وليس كتابا علميا كما يتم تصويره من قبل من يقولون بالتفسير العلمي، فهناك اختلاف كبير في الأهداف بين القرآن الكريم والعلم<sup>5</sup>.
6. أن العلوم الحديثة مادية، ونظرياتها وضعها ملاحدة بنوا علومهم ونظرياتهم على جحود الخالق<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> بنت الشاطبي: القرآن والتفسير العصري، ص: 6-7.

<sup>2</sup> ينظر محمد باقر، السيد محمد باقر الصدر، (ت: 1980): التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، تحقيق: جلال الدين علي الصغير، دار العالمية، بيروت، لبنان، ط1 1989، ص: 36

<sup>3</sup> ينظر: أمين خولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: ص 295. المحتسب: اتجاهات التفسير في العصر الراهن: ص 306.

<sup>4</sup> ينظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، (ت: 2022م) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1 2000م، 58/6. أمين خولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص: 293.

<sup>5</sup> ينظر: أمين خولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص: 294-295 قطب: سيد قطب، (ت: 1966م): في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط34، 2004م، 181/1-182.

<sup>6</sup> ينظر: الحميد: عبد الكريم بن صالح الحميد، الفرقان في بيان إعجاز القرآن، ط1، الرياض، 2002م، ص4.

7. أن العلوم التي تحدث عنها القرآن الكريم مذكورة في الكتب السماوية السابقة لكتاب الله تعالى، وفي تراث الأمم؛ لذلك لا تعد إعجازاً وتفسيراً علمياً<sup>1</sup>.

8. التكلف في تفسير الآيات الكونية من القائلين بالتفسير العلمي، ولي عنق الآيات كي تتوافق مع الحقائق العلمية، وتوسعهم في دلالة الآيات التي عدوها باباً مهماً للقول بالتفسير العلمي، كقوله تعالى: ﴿سَتْرِيهِمْ عَائِيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38] وهي آيات لا تتناسب مع ما يستدلون به<sup>2</sup> ولتحميل آيات القرآن الكريم معاني غير معانيها المعروفة في زمن نزولها على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وتصرفهم بألفاظ القرآن تصرفاً غير مشروع<sup>3</sup>.

### المطلب الثالث: آراء العلماء المثبتين للتفسير العلمي وأدلتهم

انقسم العلماء المثبتون للتفسير العلمي كما انقسم العلماء الممانعون للتفسير العلمي بحسب أدلتهم وما فهموه من كتاب الله تعالى، فمنهم من أجازاه مطلقاً، ومنهم من أجازاه بشروط.

أولاً: المجيزون للتفسير العلمي مطلقاً:

يرى أصحاب هذه الفئة اشتغال القرآن الكريم على جميع المعارف والعلوم، ومن أشهر العلماء القدامى لهذه الفئة:

الإمام الغزالي: إذ أشار إلى وجود أوائل العلوم في القرآن الكريم وذلك في كتابيه: جواهر القرآن، وإحياء علوم الدين، تحدث فيهما عن العلوم الواردة في القرآن الكريم فقال: "العلوم كلها داخلية في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن الكريم شرح ذاته وصفاته، وهذه علوم لا نهاية لها، ويشير القرآن الكريم إلى مجامعها،

<sup>1</sup> مساعد، مساعد بن سليمان الطيار: الإعجاز العلمي إلى أين؟ ط1، دار ابن الجوزي، 2018م، ص45.

<sup>2</sup> ينظر: الشاطبي: الموافقات: ص128/2، قطب: في ظلال القرآن: ص182 مساعد الطيار: الإعجاز العلمي إلى أين؟، ص: 46-47.

<sup>3</sup> أمين خولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: ص293.

وتحتاج إلى التعمق لفهمها، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إليها<sup>1</sup>، وهذه دعوة صريحة لعدم الاكتفاء بالتفسير بالظاهر، وإلى التأمل في كتاب الله والنهل من علومه، بل ينبغي تفسير كتاب الله تفسيراً يستنبط العلوم التي يحويها؛ ليستدل به على صحة الإسلام وإلهية كتاب الله.

الإمام الرازي: أول من استجاب لدعوة الإمام الغزالي ولم يكتفِ بالتنظير للتفسير العلمي واعتماده في بيان الآيات العلمية في القرآن، وقام بتطبيقها تطبيقاً عملياً في تفسيره "مفاتيح الغيب"، سلك الإمام الرازي مسلك العلماء الطبيعيين في الكونيات في تفسيره؛ ليستدل على تفرد الله تعالى ووحدانيته وبيان عظمته - وأشار إلى ما يحويه القرآن الكريم من أصول بقوله "اعلم أن المقصود الأعظم من القرآن الكريم أربعة: النبوات، والمعاد، والإلهيات، وإثبات القضاء والقدر، والمقصود الأعظم من هذه الأصول تقرير الإلهيات"<sup>2</sup>

وقد أدخل الرازي في تفسيره علوماً متفرقة مثل: علم النباتات، وعلم الأفلاك، وخلق الإنسان، وفي الإلهيات ذكر الأدلة، منها أدلة على عظمة الله ووجوده، وتفرد القرآن الكريم في هداية البشر، وهذا يؤكد مصدره الرباني.

ومن أشهر العلماء المحدثين المجيزين للتفسير العلمي مطلقاً:

الشيخ طنطاوي جوهرى: وقد عرفنا بتفسيره وطريقته في الفصل الأول.

الشيخ جمال الدين الأفغاني: إذ أبدى أسفه على انشغال دراسات القرآن الكريم ببعض المسائل التقليدية التي لا طائل منها؛ كدراسة مخرج صاد الصراط، وقلل من شأن آراء ما يستنبطه بعض المفسرين من أحكام، فصار يدعو إلى اكتشاف كنوز القرآن الكريم وسط استنباط العلوم الحديثة منه في إشارة إلى

<sup>1</sup> ينظر: الغزالي: محمد الغزالي، ت:1996، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، 289/1.

<sup>2</sup> الرازي، الإمام فخر الدين، ت:925م، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990م، 50/20

التفسير العلمي<sup>1</sup>، فقام بتفسير بعض الآيات تطبيقاً لدعوته ، منهجاً قائماً على إسقاط الاختراعات الحديثة والأسماء على آيات القرآن الكريم<sup>2</sup>.

فئة المعتدلين:

وهذه الفئة تقبل التفسير العلمي لكن بشروط محددة، ومن أبرز علماء هذه الفئة:

الدكتور فضل عباس:

بيّن الدكتور فضل عباس مواقف العلماء في مسألة التفسير العلمي، وعرض أدلة كل مسلك ومذهب من العلماء المانعين والمجيزين، ثم بين ما ذهب إليه، وهذا موجزه:

1. ضرورة وجود التفسير العلمي في هذه الفترة الزمنية التي نعيشها، شريطة أن يكون هناك أهل اختصاص لهذه المهمة.

2. إنّ سور القرآن الكريم وآياته ليست قصائد وأبياتاً يقولها الشاعر في وقت معين، والقرآن الكريم ليس ديوان شعر، وإنما القرآن هو كلام الله وكتابه، فلا بد أن تكون فيه الجدة دائماً.

3. القول بأنّ التفسير العلمي فيه تقليل من قدر الصحابة لا يتفق مع منطق الواقع ومسلمات العقل، ولذا فإنّ الله يفتح لمن أراد أبواباً كثيرة في فهم كتابه، فإنّ التفسير العلمي إذا توفر له مناخه الصالح، وجمع الشروط كافة فلا مانع منه، وهذه الشروط كما يراها: موافقته للغة العربيّة، وعدم مخالفة صحيح المأثور، وموافقته لسياق الآيات، وعدم تعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات ويوم القيامة، وأن يكون التفسير حسب الحقائق العلميّة الثابتة؛ لا أن يكون حسب نظريات وهمية ضعيفة، ثم ذكر نماذج للتفسير العلمي المقبول، كخلق الكون، وخلق الإنسان وغيرها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الرومي، فهد، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط2، 1403هـ، 86-87.

<sup>2</sup> ينظر: الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، 88-89.

<sup>3</sup> ينظر: عباس: فضل عباس، (ت:2011م)، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار الفنايس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016م، 623.

الدكتور زغول النجار:

يتقارب موقف الدكتور زغول النجار مع رأي الدكتور فضل عباس، ويشتركان في قبول التفسير العلمي

بشكل معتدل، ويضيف زغول النجار بعض الضوابط للإعجاز العلمي لقبوله:

أولاً: عدم التكلّف في لي أعناق الآيات للتوافق مع الحقيقة العلميّة، فالقرآن الكريم أكرم من ذلك وأصدق.

ثانياً: الإمام بأخر ما توصل إليه العلم في الحقل الذي تتعرض له الآية الكريمة.

ثالثاً: احترام التخصص العلمي كي لا يخوض في هذه القضية أي خائض، ولا متخصص في فرع من

فروع العلم لإثبات الإعجاز العلمي في جميع التخصصات الخارجة عن مجاله.

رابعاً: التأكد من صحة الحديث النبوي عند الإستعانة به في تفسير القرآن الكريم ودرجته قبل التعرّض

لإثبات جوانب الإعجاز العلمي. و يرد زغول النجار على الادّعاء القائل: "إن الحديث في موضوع

الإعجاز العلمي يقلل من هيبة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كمصدرين رئيسيين للتشريع الإسلامي"

ويرفض هذا الادّعاء؛ لأنّ قضية الإعجاز العلمي تتعامل مع الآيات الكونية في كتاب الله بحيث يتسع

فهم الإنسان لها من عصر إلى عصر<sup>1</sup>.

أدلة المجيزين للتفسير العلمي:

أولاً: القرآن الكريم كتاب هداية وهو الكتاب الخاتم الشامل لجميع البشر، وهذا لا يتحقق في الإعجاز

البياني وحده، فإن كان الإعجاز البياني صالحاً للتحدي زمن النزول؛ فإن الإعجاز العلمي يصلح في هذا

العصر أن يكون صالحاً للتحدي؛ كون الإعجاز البياني خف استعماله في هذا العصر لبعد الناس عن

اللغة وفهمها فهما دقيقا كما فهمه عصر الصحابة، مع الإقرار بأن هذا وجه من وجوه الإعجاز للقرآن

الكريم ولا ينحصر فيه فقط<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> النجار، زغول راغب محمد النجار ، التفسير العلمي للقرآن الكريم يعني: توظيف كل المعارف المتاحة للإنسان في حسن فهم دلالة الآية القرآنية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الوعي الإسلامي، مكتبة دار المنظومة، العدد424، 2001م ذو الحجة، الصفحات 10-16.

<sup>2</sup> ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، (ت:1973م)، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 1/192.

ثانياً: كثرة الآيات القرآنية التي تحمل مضامين علمية، وتحوي إشارات كونية، وإخبار القرآن الكريم بهذه الحقائق يفرض علينا أن ندرسها ونفهمها<sup>1</sup>.

ثالثاً: لم تكن الإشارات الكونية والمضامين العلمية معروفة في زمن نزول القرآن الكريم، وقد اكتشفها العلم الحديث وتوافق معها وأثبت صحتها، وهذا يعني إثباتاً لإعجاز القرآن الكريم وسبقه<sup>2</sup>.

رابعاً: وجود الكثير من الألفاظ والمعاني في القرآن الكريم التي لا يمكن إدراك مقاصدها وفهمها إلا بالاستعانة بما توصل إليه العلم، وفي ضوء التخصص الذي تنتمي إليه تلك الألفاظ والمعاني<sup>3</sup>.

خامساً: المنهج الوحيد الذي يمكنه إثبات الإعجاز العلمي هو التفسير العلمي في القرآن الكريم، ولهذا الأمر ثمرات عديدة نافعة، منها إثبات أن القرآن الكريم مصدره رباني، وأنه ليس من قول النبي -محمد صلى الله عليه وسلم-<sup>4</sup>.

ويرى الباحث أن هذه الفئة المعتدلة التي تأخذ بالتفسير العلمي بضوابط دون التساهل في قبوله بلا شروط أو رفضها بشكل مطلق هي أقرب إلى الصواب وإلى صلاحية كتاب الله تعالى لكل زمان ومكان، ولقوة حجتها وأدلتها ومنطقيتها.

---

<sup>1</sup> ينظر: طنطاوي: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 19/3، والرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، 574/2.  
<sup>2</sup> الزحيلي، وهبة الزحيلي، (ت: 2015م)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين الاصلية والمعاصرة، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1418هـ، ص13.

<sup>3</sup> ينظر: طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 19/3.

<sup>4</sup> ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 127، مساعد الطيار، الإعجاز العلمي إلى أين؟، ص57.

## المبحث الثاني: ضوابط التفسير العلمي

### المطلب الأول: ضابط موافقة التفسير العلمي للغة العربية

تُعرف الضوابط بأنها: "القواعد التي تحدد مسار بحوث الإعجاز العلمي وفق الأصول الشرعية المقررة، مع الالتزام بالجوانب العلمية والفنية"<sup>1</sup>.

اللغة العربية لغة القرآن الكريم، بها نزل على النبي محمد -صلى الله عليه-، وبقوانينها يُفهم ويُأول، وقد أثبت الله عربية القرآن الكريم في الكثير من الآيات أبرزها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2].

العلم باللغة شرط للمفسر: حرص العلماء على التأليف في إعراب القرآن الكريم ومعانيه؛ لأهمية اللغة العربية في فهم كتاب الله تعالى، فينبغي مراعاة أن يكون النص من كتاب الله تعالى متصلاً اتصالاً وثيقاً بالمعنى العلمي الصحيح، فلا يكون المعنى ملصقاً بالنص إصاقاً، ولا يكون مذكوراً لأدنى ملابسة مع النص، فإنه لا يكون شيئاً من التفسير وإن ربط بالنص كان برياط هش<sup>2</sup>.

ومن المسلمات في أصول التفسير أنه لا يجوز تفسير القرآن الكريم بإصلاح حديث بعد نزول القرآن الكريم؛ لأن ذلك فيه تبديل وتحوير لمعاني القرآن الكريم، فمثلاً الملائكة المُسَوِّمُونَ الذين قاتلوا مع النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في معركة بدر لا صلة لهم بالجنود الذين يهبطون بالطائرات في الحروب في وقتنا الحالي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المُصلح، عبد الله عبد العزيز المُصلح، الإعجاز العلمي تاريخه وضوابطه، ط2، 2006م، ص30.

<sup>2</sup> ينظر: جعفر، عبد الغفور جعفر، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، دار السلام، القاهرة، 2007م، ص789.

<sup>3</sup> ينظر: فكري، علي فكري، القرآن ينبوع العلوم والفرقان، المطبعة السلفية، مصر، 51/1.

أهمية دلالات الألفاظ في التفسير:

يجب تفسير معاني الآيات العلميّة وفُق دلالات الألفاظ في اللغة العربيّة؛ كون القرآن نزل بهذه اللغة؛ لذا وجب التقيّد ببعض الضوابط في هذا المجال:

1. التقيّد بأساليب اللغة في التعبير وقواعدها، فلا يجوز الخروج من الحقيقة إلى المجاز باللفظ إلا بقريّة دالة، ويجب أن تأخذ من لغة القرآن ولسان العرب، ومراعاة سياق النص القرآني وعدم اجتزائه عمّا قبله وما بعده ليوافق الحقيقة العلميّة<sup>1</sup>.

2. موافقة التفسير للغة العربيّة قاعدة عامة في التفسير عموماً، فليست قاصرة على التفسير العلميّ، وإنما خص التفسير العلميّ؛ لأنه هو المقصود في هذا المبحث، فلا بد من مراعاة الاستعمالات العربيّة بحسب متن اللغة والمعاني كما ورد في القواميس.

#### المطلب الثاني: ضابط موافقة التفسير العلميّ الحقائق العلميّة

الحقائق العلميّة التي توظّف في التفسير العلميّ يجب أن تكون ثابتة حسمها العلم وأصبحت من الأمور القطعية المسلّمة التي لا رجعة فيها، وذلك في الاستدلال على سبق القرآن الكريم في الإشارة إلى تلك الحقيقة الكونية، وعدم التكلّف في ليّ أعناق الآيات للتوافق مع الحقيقة العلميّة، فالقرآن الكريم أعز وأكرم من ذلك وأصدق<sup>2</sup>.

فيجب تفسير كونيّات القرآن الكريم باليقين الثابت من العلم؛ لأن الحقائق هي سبيل التفسير الحق، وهي كلمات الله الكونيّة، فينبغي أن تفسّر بها نظائرها من كلمات الله القرآنيّة، والابتعاد عن النظريّات

<sup>1</sup> ينظر: المصلح: الإعجاز العلميّ تاريخه وضوابطه، ص32-33 مساعد، الإعجاز العلميّ إلى أين؟، ص131. زغلول النجار: زغلول راجب محمد النجار، الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، 148-149.

<sup>2</sup> زغلول النجار: التفسير العلميّ للقرآن الكريم يعني: توظيف كل المعارف المتاحة للإنسان في حسن فهم دلالة الآية القرآنيّة، ص16. العدد 424

والفرضيات والحدسيات والظنّيات كونها عرضة للتصحيح والتعديل إن لم يكن حتى إبطالها في أي وقت<sup>1</sup>، وهي تنطوي على معنيين لا يليقان بجلال القرآن الكريم:

الأول: الهزيمة الداخليّة التي تُخيل لبعض الناس أنّ القرآن الكريم تابع والعلم هو المهيمن، ويحاولون تثبيت القرآن الكريم بالعلم، على حين أنّ القرآن الكريم نهائيّ في حقيقته وكتاب كامل في موضوعه. الثاني: سوء فهم وظيفة القرآن الكريم وطبيعته، وهي أنّ حقيقته نهائية مطلقة، تعالج بناء الإنسان، بناء يتفق بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبيّة، مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي، كي لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه ويعرف بعد أسراره<sup>2</sup>.

فينبغي أن يكون في أذهاننا من المسلّمات أنّ الحقائق القرآنية بأيّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان والحيوان والنبات إذا كانت قطعيّة الدلالة لا يمكن أن تصطدم مع حقيقة علميّة توصل لها الجهد البشري بناء على جهود المختصين خلال التاريخ الحضاري للبشريّة<sup>3</sup>.

### المطلب الثالث: ضابط موافقة التفسير العلميّ للسياق

حرص أهل الاختصاص على وضع مجموعة من القواعد التي تعين على التفسير السليم لآيات كتاب الله تعالى، فتكون بمثابة الميزان الذي يُعرف به التفسير المقبول من غيره، ولقد كان السياق من أبرز هذه القواعد، فقد وقف المفسّرون على دوره المتميز، فالسياق وسيلة للكشف عن مقاصد الكلام، اعتمدها قدماء المفسّرين، والمعاصرون في بيانهم لكلام الله تعالى كون الكلمات والجمل القرآنية تحتل معاني متعدّدة.

<sup>1</sup> العباسي، رانيا محمد كمال، التفسير العلميّ للقرآن الكريم، رابطة الأدب الحديث، ديسمبر 2012م، العدد 72، الصفحات: 470-482.

<sup>2</sup> ينظر: الصباغ، محمد الصباغ، ت: 2013م، لمحات في علوم القرآن، المكتب الإسلامي، 1990م، ص 297.

<sup>3</sup> ينظر، مسلم، مصطفى مسلم، ت: 2021 مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط2، 1996م، ص 174.

## تعريف السياق القرآني:

هناك من عرّف السياق في إطار القرآن الكريم بأنه: أسلوبه الذي يجري عليه، وتتابع أجزاء الكلام في الآيات وتتاليها باعتبار موقع الكلمة أو الجملة من النص وسابقتها ولاحقتها أو أحدها، والأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب أسلوبه البياني ونظمه المعجز في جميع تعبيراته<sup>1</sup>، وهو بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها<sup>2</sup>.

## أهمية السياق عند المفسرين:

إن إعمال السياق في معرفة المراد من قبيل تفسير القرآن بالقرآن وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه من أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه فسّر في موضع آخر، وما أختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر<sup>3</sup>. فالسياق القرآني له أهمية بالغة أهمها:

1. عريية القرآن الكريم: فالعرب لا تفهم الكلام إلا ضمن سياقه، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب قال الله

تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١١)</sup> وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣﴾ عَلَى

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشُّعْرَاءُ: 191-195﴾<sup>4</sup>.

2. مراعاة النبي -صلى الله عليه وسلم- للسياق القرآني: فالنبي -صلى الله عليه وسلم- خير من فسّر

القرآن الكريم مع مراعاة للسياق القرآني<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: باحويرث، تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث، أثر دلالة السياق القرآنية في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليه السلام، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2007م، ص40-41.

<sup>2</sup> فلاح، أحمد لافي فلاح، دلالة السياق في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي دراسة موضوعية تحليلية، رسالة ماجستير، اشراف الدكتور مصطفى إبراهيم المشني، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م، ص14.

<sup>3</sup> ينظر: العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت: 2001م، شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، دار الوطن، الرياض، ط1، 1995م، ص127.

<sup>4</sup> الحيرش، جيلالي الحيرش، الإعجاز العلمي في ضوء السياق القرآني: دراسة نقدية، مجلة البحوث العلمية، مج:5، ع:5، يناير 2016م، الصفحات: 14-20.

<sup>5</sup> المصدر السابق: ص14.

3. إجماع العلماء على اعتبار السياق: عمل المفسرون منذ وقت مبكر بالسياق القرآني؛ لما له من أثر فاعل في الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه، وكان له حضور بارز إلى جانب القرائن الأخرى كأسباب النزول واللغة، وربما قدم على بعضها، أو تحكم بها؛ لتوقف المعنى العام عليه، فإنه عند التفاضل بين هذه القواعد، لا بد من مراعاة السياق دائماً، فهو المقصود بهذه القواعد حتى يفهم على وجهه<sup>1</sup>. وأن لا يغفل عن السنّة الصحيحة في تفسيره، وأسباب نزول الآيات، كونها ذات علاقة مباشرة بالسياق القرآني<sup>2</sup>.

اهتمام المفسرين بالسياق:

اهتم المفسرون بالسياق واستعانوا به للكشف عن المعنى في تفسير القرآن الكريم، "وعُدَّوه اللبنة الأساس في قواعد التفسير، إذ تدور جميع العلوم الشرعيّة ضمن السياقات على اختلافاتها"<sup>3</sup>.

وبما أنّ التفسير العلميّ للقرآن الكريم الذي يعد لونا من ألوان التفسير، ومن أبرز الصور التجديد فيه ألصق بالمعنى من غيره، فلا شك أن للسياق أثره الفعال في توجيه دلالاته، فتتطلب معاني الكلمات تحليلاً للسياقات والمواقف التي وردت فيها حتى ما كان منها غير لغوي؛ لذلك لا يجوز للمفسر أن يقطع نصاً عمّا قبله وبعده في التفسير العلميّ، ويتجاوز سياق الآية ودلالاتها على ترجيح معنى أو تخصيص لفظ بدلالة؛ لأن السياق من القرائن المعتبرة في التفسير<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الحيرش: الإعجاز العلميّ في ضوء السياق القرآني: دراسة نقدية، ص14-15.

<sup>2</sup> ينظر، مختارية بن قبلية، أثر السياق اللغوي في تفسير الرازي، أطروحة دكتوراة في اللسانيات، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2012م، ص17.

<sup>3</sup> العزاوي، وضاح كافي حلومي محمد العزاوي، أثر السياق القرآني في الترجيح بين المعاني، الجامعة الإسلامية، ص89.

<sup>4</sup> ينظر: سقا، مرهف عبد الجبار سقا، التفسير الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، تقديم نور الدين عتر وبيع السيد اللحام وحمزة حمزة، دار محمد الأمين للطباعة والنشر، دمشق سوريا، أصل الكتاب رسالة دكتوراة، ط1، 2010م، ص232.

## المطلب الرابع: ضابط عدم تعرض التفسير العلمي لآيات المعجزات:

تعريف المعجزة: عُرِّفت المعجزة تعريفاتٍ عديدةً أشهرها: أنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي وسالم من المعارضة، يجريه الله - سبحانه وتعالى - على يد أحد الأنبياء<sup>1</sup>، ويتفق العلماء أن معجزات الأنبياء هي العلامات المرافقة للرسول للدلالة على صدق رسالتهم، ووقوع الخوارق لهم شاهد بصدقهم، ويعجز البشر عن الإتيان بمثل هذه الأفعال والعلامات؛ لذلك سميت معجزة، فهي تقع في غير محل قدراتهم، وليس من جنس مقدور العباد، وإن كانت مما نبغ فيه قومهم<sup>2</sup>.

يجب أن لا تُفسَّر المعجزات والأمور الخارقة للعادة التي نصت عليها الآيات بالحقائق العلميّة، وعدم الخوض بالغيبيات المطلقة:

نظرا لافتراق موضوع هذه المعجزات عن آيات الكون والطبيعة والخلق، فلا يمكن إقحام المعجزات والأمور الخارقة للعادة في باب العلم التجريبي، كونها تثبت وتتميز بمقدار مخالفة السنن والقوانين، فكيف يتأتى تفسيرها من خلال هذه السنن والقوانين<sup>3</sup>. فلا يُفسَّر من طريق العلم إلا ما يخضع للتجربة مع استبعاد كل نص لا يخضع بمضمونه للبحث العلميّ. وكذلك يجب عدم الخوض في الغيبيات المطلقة، مثل البحث في الذات الإلهية، والملائكة، وقيام الساعة والبعث، والجنّة والنار، وكل القضايا التي لا سبيل إلى إدراكها بالعلم<sup>4</sup>.

فروق مهمة بين معجزات الأنبياء - عليهم السلام - ومكتشفات العلم التجريبي:

أولاً: من الأمور المسلمة في المكتشفات الحديثة والمخترعات أنها ليست خارقة للعادة، ولكنها أمور لها قوانينها وسننها المعروفة، ومن تعلمها، وتفرَّغ لها حقق نتائجها<sup>5</sup>، ومن هنا فالمعجزة أعظم من المكتشفات

<sup>1</sup> السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، 148/2.

<sup>2</sup> ينظر: شعراوي، مصطفي متولى شعراوي، ت: 1998، معجزة القرآن، ط1، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، 1978م، ص6.

<sup>3</sup> ينظر: صدقي، محمد توفيق صدقي، ت: 1920م، دروس في سنن الكائنات، مصر: في مجلة المنار، ط1، 1333هـ، 51/1.

<sup>4</sup> ينظر: المصلح، الإعجاز العلمي تاريخه وضوابطه، ص34، زغلول النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ص: 150.

<sup>5</sup> شهبان، راشد سعيد شهبان، الضوابط الشرعية لاكتشافات العلميّة الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، 1428هـ، ص133.

الحديثة؛ لأن المعجزة لا بد أن تكون خارقة لنظام العالم وإلا لا تكون معجزة بمعناها الحقيقي، وأي معجزة مهما كان حجمها بالنسبة للإنسان يصغر بجانبها أعظم مكتشفات العلم الحديث<sup>1</sup>.

ثانياً: معجزات الأنبياء -عليهم السلام- لا تجري على الأسباب ومسبباتها، ولا تجري على الأمور التي اعتادها الناس، فعدم تأثر إبراهيم -عليه السلام- بإلقائه في النار مثلا من الأمور غير المعهودة لا تجري على الأسباب الطبيعية التي اعتادها الناس<sup>2</sup>.

ثالثاً: خرق الله تعالى العادات للأنبياء عليهم السلام من سننه الخاصة بأنبيائه ورسله التي اقتضت حكمته عز وجل إجراءها على أيديهم، فهي جارية على مقتضى السنن الإلهية، وإن كانت خارقة لما جرت عليه العادة<sup>3</sup>.

رابعاً: من مواطن الاشتباه أن المكتشفات الحديثة فيها غرابة من جهة أن الناس لم يعتادوا عليها فيستعظمونها، وعند إمعان النظر في هذه المكتشفات نجد أنها تسير مع الأمور الطبيعية، وهي قائمة على الأخذ بالأسباب، وإن بذل مخترعوها جهوداً كبيرة من الوقت والمال والتفكير والتحليل حتى توصلوا إليها، كمخترعات النقل والاتصالات، وقد نسبها الناس في البداية إلى أعمال السحرة والجن، أما المعجزات فهي خارجة عن الأسباب، وهي متعلقة بالأمر الإلهي، ومن هنا يستحيل التشابه بين معجزات الأنبياء في صورتها التي وقعت لهم مع المكتشفات التجريبية الحديثة؛ لأن معجزات الأنبياء ليست قائمة على الأسباب المادية التي يقوم عليها العلم التجريبي<sup>4</sup>.

---

<sup>1</sup> ينظر: صبري، مصطفى صبري، ت: 1954م، موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1401هـ، 29/4.

<sup>2</sup> ينظر: الجار الله، عبد السلام بن صالح بن سليمان، علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم: دراسة نقدية، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، كلية التربية، مج27، ع1، فبراير 2015، الصفحات: 139-165.

<sup>3</sup> المصدر السابق: الصفحات: 139-165.

<sup>4</sup> المصدر السابق: الصفحات: 139-165.

## الفصل الثاني

### معالم منهج النابلسي في التفسير العلمي

#### المبحث الأول: الاعتماد على معاني اللغة العربية في التفسير العلمي

##### المطلب الأول: موافقة التفسير العلمي لمعاني اللغة العربية

القرآن الكريم كلام الله المعجز بآياته، أنزله الله هادياً ومخبراً لنا بأمر غيبية تَحَقَّق جزء منها، كما أخبرنا بحقائق علمية منذ قرون طويلة أصبحت تُكتشف اليوم وتُفسَّر بوساطة العلوم الحديثة، وهذا جانب من جوانب إعجازه، ولا ننسى إعجاز القرآن اللغوي ودقته في استخدام المصطلحات، وقد سخر الله علماء أفاضاً بذلوا حياتهم في تأويل القرآن وتفسيره، ومن بين هؤلاء العلماء الدكتور محمد راتب النابلسي الذي اهتم بتفسير القرآن الكريم والتركيز على الجانب العلمي لإظهار إعجازه، ومما جادت به قريحته في هذا المجال تفسيره الذي أطلق عليه "تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة".

ملاح منهج النابلسي وعنايته باللغة العربية كما صرَّح بها في مقدمة كتابه:

لمعرفة منهج معين في كتابه الخاص هناك العديد من الطرق، من أسهلها وأقصرها أن يصرَّح الكاتب عن منهجه وطريقته في مقدمة كتابه، ثم يتم التحقُّق من التطابق بين ما يدعيه في منهجه وما تم كتابته خلال الصفحات، وهنا يصرَّح النابلسي في مقدمته لكتاب التفسير عن:

أولاً: بذله جهوداً كبيرة جداً ومراجعتة لأمات كتب تفسير القدماء، كتفسير الطبري والقرطبي والرازي وابن كثير ومحاسن التأويل، فيفسر الآية القرآنية تفسيراً لفظياً، ثم يجمع الآيات التي تعين على فهم الآية، أو تخدم الموضوع نفسه، ويستعين بكتب المعاصرين أحياناً لفهم بعض القضايا كسيد قطب والشعراوي<sup>1</sup>، وفي اعتماده على كتب تفسير القدامى والمعاصرين دليل على منهجيته العلمية وتدرجه في التفسير قبل أن يدلي

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 13/1-15.

بدلوه، ومن ناحية أخرى الكتب التي أشار برجوعه إليها تهتم في منهجها على العناية باللغة العربية عناية فائقة. والذي يقرأ في تفسير القرطبي يجد أن القرطبي -رحمه الله- قد التزم بما اشترطه على نفسه في هذا التفسير في عرضه للقراءات، والإعراب، وبين الغريب من ألفاظ القرآن الكريم، واحتكم إلى اللغة العربية كثيراً، ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب<sup>1</sup>.

ثانياً: إكثاره من الاستشهاد بالشعر العربي: يُكثر النابلسي من الاستشهاد بالأشعار<sup>2</sup>، والشعر لا يتم الاستشهاد به إلا لبيان معنى دقيق من خلال الشعراء القدامى أهل اللغة والفصاحة. يُعد الشاهد الشعري مهماً جداً للاستشهاد لقواعد اللغة بشواهد من الشعر العربي الفصيح، الذي هو حجة في اللغة والمعاني، فكثيراً ما يلتمس إيجاد مُسوِّغ دلالات مفردات القرآن الكريم في أشعار العرب وكلامهم.

فيوظف الشاهد الشعري في الاحتجاج لمدلولات بعض ألفاظ القرآن الكريم، ولا تكاد تخلو هذه الشواهد الشعرية من فائدة لغوية أو شرح لمفردة من مفردات القرآن الكريم؛ لذلك كان المفسرون يستشهدون دوماً بالشعر في كتب التفسير<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتفسير العلمي وفق معاني اللغة العربية

بعد أن وضعنا موقف النابلسي في المطلب الأول وعنايته الفائقة في تفسيره العلمي باللغة العربية نذكر ونوضح بعض النماذج التطبيقية في تفسير النابلسي والقواعد التي ذكرها في مقدمته بما يخص اللغة العربية وقواعدها.

1. تعمق النابلسي في بلاغة اللغة العربية في التفسير العلمي كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

مِنْ سُلْالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَّةَ مُضْغَةً

<sup>1</sup> الذهبي: التفسير والمفسرون: (337/2).

<sup>2</sup> ينظر المصدر السابق: 13-15.

<sup>3</sup> ينظر: حاج، بنبرد حاج، الشاهد الشعري وتوظيفه في تفسير مفردات القرآن الكريم: (المحرر الوجيز) لابن عطية أنموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، مج33، ع1، 2022، الصفحات: 421-440.

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: 12-14].

يشير النابلسي إلى دلائل التفسير العلمي في الآية السابقة من خلال دقة حروف العطف مع مكتشفات العلم الحديث في خلق الإنسان، فمن العلقة إلى المضغة وكذا من المضغة إلى العظام، ومن العظام إلى اللحم عطف بينها بحرف الفاء، أما من النطفة إلى العلقة فقد جاء العطف ب"ثم"، والفاءات بعدها متلاحقة، وفي اللغة العربية يفيد حرف العطف "ثم" الترتيب على التراخي، وحرف الجر الفاء يفيد الترتيب والتعقيب.

يوضح النابلسي أن علم الجنين الحديث اكتشف أن هناك فترة زمنية بين مرحلة النطفة ومرحلة العلقة، وتمد لما يزيد عن أسبوعين، كونها مرحلة انغراز النطفة في جدار الرحم، فهذا البطء في مرحلة نمو الجنين عبر الله تعالى عنه بحرف "ثم"، وفي مرحلة واحدة قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: 14] خلال أسبوعين لا تتجه البيضة الملقحة إلى النمو، بل تمكن نفسها من جدار الرحم، لذلك يتباطأ النمو، فعبر عن هذه الحقيقة العلمية بحرف الجر "ثم" وهو كلام الخالق وآيات القرآن التي لا تنقضي<sup>1</sup>.

2. تفسير الكلمات وفق معاجم اللغة العربية: ففي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المُرْسَلَات: 25]

يبدأ النابلسي بتفسير كلمة "كفاتا" من معجم لسان العرب ويكمل من القاموس المحيط عن هذه الآية التي سماها آية الجاذبية: يقال كفت يكفت كفتا، أي ضم يضم، وجذب يجذب، وجمع يجمع، ويقال: كفت الشيء، أي سقط سريعا<sup>2</sup>، ومن ثم يعرج للتفسير العلمي للآية وحديث مطول عن الجاذبية الأرضية وماهيتها، فهذه الحقائق العلمية وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 21/6-25.

<sup>2</sup> بطرس، بطرس البستاني، (ت:1300هـ)، محيط المحيط، تحقيق: محمد عثمان، 1971م، 9/115.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 10/213-214.

3. توضيح الضمائر في اللغة العربية عند التفسير: فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُصِّلَتْ: 53]، يبين أن المتكلم هو الله، والمخاطب هم المؤمنون، ويتساءل عن ضمير الغائب الذي يخبر عنهم في كلمة "سريهم" ويجيب أن الله سيريها للطرف الآخر هذه الآيات، أي الغرب لحكمة أرادها الله - عز وجل - لجعل الإنجازات العلمية التي تأتي متوافقة مع آيات القرآن الكريم على يد الغربيين<sup>1</sup>.

4. ضرب الأمثلة لتوضيح المعاني وسرد القصص: فمثلا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجْدَةَ: 5]. يضرب النابلسي عدة أمثلة لهذه الآية، أولها بأن نتصور عدد سكان الصين بأعدادهم الكبيرة ونتخيل أنهم موظفون، وشخص واحد من البشر يريد محاسبتهم، فكم سيستغرق وقتا لإعطائهم رواتبهم؟ إن كان كل شخص منهم يحتاج لخمس دقائق للتدقيق ومعرفة بياناته وتسلمه للراتب، فمتى يتم دفع رواتبهم كاملة، ولو على سبيل التقريب تمكن إنسان من دفع رواتبهم لكان هذا شيئا عظيما، وربنا - عز وجل - من باب التقريب إلى عقولنا لما يفعله من تدبير أمر السماوات والأرض جاء بكلمة "ألف" وهذا تقريب، ولله المثل الأعلى.

ولم يكتف بمثال واحد لهذه الآية، بل يعطي مثالا آخر: إن كنت مديرا عاما، وجاءتك مكالمة مهمة وكان عندك مراجع في المكتب، تعتذر منه للحظات كي تنهي مكالمتك، وبدأت تتكلم، فجاءك هاتف ثان، فأنت بشر ليس عندك إمكان أن تعالج قضيتين بأن واحد، فكيف إن كان عندك ألف موظف، أستطيع أن تنفذ طلباتهم في وقت واحد؟ هذا شيء فوق طاقة البشرية، ويختم بمثال ثالث لمدير المدرسة ونشئته عندما يكون عدد المعلمين في مدرسته كبيرا جدا، فيعلن حاجته لمعاونين وموجهين، وأجهزة حديثة تساعده في

<sup>1</sup> ينظر: النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 8/ 259.

إدارة عمله، أما خالق هذا الكون فهو يدبر أمر كل مخلوق، تدبيراً إلهياً يجب أن نتصوره مع المخلوقات كلها، فكم طائرٍ في الأرض؟ وكم سمكة؟ فمعنى تدبير الأمر: أن الله مع كل مخلوق.

ثم يسرد النابلسي لآية نفسها ثلاث قصص مختلفات توضح معية الله تعالى للإنسان وحفظه له، فيروي حكاية عن أحد الأشخاص الذين كانوا عنده برّاد فيه ما لذّ وطاب، ورفض طلب شقيقه المحتاج، ثم رجع لبيته بعد سفر، فكان هناك تماس كهربائي قطع الكهرباء وأصبح كل ما في (البراد) فاسداً، فهناك سر إلهي، كونك منعت هذا الإنسان شيئاً مما عندك، وقلت له: ليس عندي، فحرمت من كل ما في (البراد)، ثم ينتقل لقصة ثانية وثالثة يسرد قصصاً مشابهة تعين على فهم آية واحدة فقط<sup>1</sup>.

ففي آية واحدة ضرب النابلسي ثلاثة أمثلة، كي تقرب المعاني للقارئ، والأمثلة تدل على تعمقه في العربية واستخداماتها، كما هي لغة القرآن وأساليبه التي يكثر فيها من ضرب الأمثلة، ويسرد لآية نفسها عدة قصص مختلفة، واللغة العربية تشتهر بالقصة وأسلوبها الشائق في إيصال المعاني بشكل سهل، فقد تميز كتاب الله تعالى بالأسلوب القصصي في كثير من السور والآيات.

---

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 7 / 220-222.

## المبحث الثاني: التنقل بين المناهج في التفسير العلمي للآيات

### المطلب الأول: المقصود بالتنقل بين المناهج في التفسير العلمي للآيات

لابد للمفسر أن يُلم بكل العلوم التي هي وسائل لفهم القرآن الكريم، وأدوات للكشف عن أسرارهِ، ولا بد أن يطلب المعنى أولاً من كتاب الله تعالى، فإن لم يجده طلبه من السنّة النبويّة الصحيحة، كونها شارحة لكتاب الله تعالى، وموضحة له، فإن أعجزه ذلك رجع لأقوال الصحابة \_ رضي الله عنهم \_ كونهم أدرى بكتاب الله، وأعلم بمضمونه ومعانيه، لما اختصوا به من الفهم التام، والعلم الصحيح، ولاحتمال سماعهم للتفسير

من رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ فإن عجز عن هذا كله، فليس عليه بعد ذلك إلا أن يعمل عقله، ويقدر فكره، ويجتهد في الكشف عن مراد الله تعالى مستندا للأصول التي تم ذكرها، مراعيًا فيه قواعد التفسير<sup>1</sup>.

### التنقل بين المناهج لكون تفسير النابلسي محاضرات مُسجلة

تنقل النابلسي بين مناهج التفسير كون كتابه عبارة عن محاضرات مسجلة داخل مسجد الشيخ عبد الغني النابلسي بدمشق ومناسبتها لأطراف الناس التي تحضر للمسجد، ثم تحويلها لكتاب من فريق مختص أشرف النابلسي بنفسه عليه<sup>2</sup>، فتارة كان يضع بعد الآية المقصودة آيات أخرى تدعم وتفسر الآية، وتارة كان يأتي بحديث نبوي يفسر تلك الآية، وتارة يجمع بينهما، ثم يأتي بالتفسير العلمي للآية، ويحتل التفسير المباشر للآيات العلميّة نسبة كبيرة مقارنة بباقي الآيات العلميّة، بحيث يبدأ بالتفسير العلميّ مباشرة دون وجود آيات، أو أحاديث، أو يدعم التفسير بالآيات والأحاديث إن وجد، وتارة كان يبدأ بأقوال الصحابة والعلماء والمفسرين إن تعذر وجود آيات وأحاديث مفسرة، وتارة يضع التفسير العلميّ كمثال عند تفسيره

<sup>1</sup> ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، 183/1.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 13-12/1.

للآيات، وفي الغالب لا يكرر التفسير العلمي عند وروده عند آية مناسبة أخرى خشية التكرار ويشير إلى ذلك.

### المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتنقل بين المناهج في تفسيره العلمي للآيات

بعد توضيح موقف النابلسي وتنقله بين المناهج بأنواعها، وتعمقه الكبير في التفسير، وعدم إغفاله تسلسل التفسير؛ بعدم تجاوز التفسير العلمي قبل الحديث عن الآيات المتصلة بالموضوع وتفسيرها بها، والاستشهاد بالأحاديث النبوية، وأقوال علماء، سيتناول الباحث في هذا المطلب بعض الأمثلة ويختصرها؛ لبيان منهجه وطريقته في تنقله بين المناهج العلمية في تفسيره:

1. تفسير الآية بأية أخرى ثم ذكر التفسير العلمي: كما في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر:

6]، من نطفة، إلى علقة، إلى مضغة مخلقة، إلى عظم، إلى لحم، إلى طفل صغير، إذ استشهد

النابلسي بقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]،

ثم ذكر التفسير العلمي في الآية إبداع الخالق في خلق الإنسان من قلب له صمامات محكمة تماما،

ودورة صغرى وكبرى، ومعدة فيها خمسة وثلاثون مليار عصارة هاضمة، تفرز لترا ونصف اللتر من

حمض (كلور الماء) وهذا الحمض يتم الهضم به، وخلايا عصبية، وأعصاب محورية، ودماغا فيه مئة

وأربعون مليار خلية سمراء لا تعرف وظيفتها بعد، وأربعة عشر مليار خلية قشرية فيها التفكير،

والتخيل، والتصوّر، والمحاكمة، ومركز السمع والبصر، والجمجمة بمفاصل خطوط منكسرة لمنع تهشم

رأس الطفل من أول وقوع له على الأرض، فهذا خلق الله تعالى المحكم.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 13/8-15. ينظر، لمياء، لمياء محمود مرسي، أجهزة جسم الإنسان، دار العلم والإيمان، 2018م، 85-95.

نموذج آخر لتفسير الآية بآية قبل التفسير العلمي:

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [المُلْك: 3]، كل ما علاك فهو سماء، من شمس وقمر ونجوم وكواكب، وكلمة "سبع" تدل على الكثرة، أي مضاعفات العدد سبعة، فهناك طبقات من السماء لا يعلمها إلا الله، فإلى أين تمتد؟! قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذَّارِيَات: 47]، ثم يتكلم بشكل موسع عن التفسير العلمي في هذه السماوات والمكتشفة منها تتجاوز المليون مجرة، وفي كل مجرة مليون نجم، وكلها لها نظام دقيق جدا، وأقربها يحتاج خمسين مليون عام كي نصل إليه.<sup>1</sup> وكما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30].<sup>2</sup>

2. تفسير الآية بحديث نبوي ثم التفسير العلمي: كتفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17]، لماذا اختار الله عز و جل \_ الجمل من بين آلاف الحيوانات؛ لأن المخاطب بهذا القرآن العظيم هم العرب سكان الصحراء، والجمل يحتل المكانة الأولى في الصحراء، ويحتل جزءاً كبيراً من اهتمامهم وحياتهم، ثم يستشهد بالحديث النبوي الذي قاله النبي محمد \_ صلى الله عليه وسلم \_ لعلي بن أبي طالب: "قوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"<sup>3</sup>، وهذا يعني أن حمر النعم شيء ثمين جدا، لذلك جعلت الهداية خيراً منه، ثم ينتقل للتفسير العلمي للآية فيذكر من الآيات اثنتي عشرة آية معجزة للإبل حتى أمرنا ربنا بالنظر إليه، من أهمها: كونه الوسيلة المجدية في الصحراء، وحجمه المناسب بدقة، وسرعته وقدرته على الحمولة، ونظام الجلوس الدقيق لدى الجمل من أجل أن يحمل صاحبه الحمل عليه، ورموشه الدقيقة التي تمنع دخول الرمل في عينيه، وكونه الحيوان الوحيد الذي يغلق أذنيه وأنفه وأجفان عينيه إذا هبت الرياح العاتية مع رؤية الطريق دون

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 9-7/10. وحمر النعم هي كرائم الإبل يضرب بها المثل في في الرغائب والنفائس، الجمال الحمر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 55/1.

<sup>2</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 199-155/1.

<sup>3</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تح: محمد زهير الناصر، 1422هـ، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، حديث رقم، (3009)، 60/4، ومسلم في صحيحه، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تح: محمد فواد عبد الباقي، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم (2406)، 1872/4.

تعثر، وعن تحمله للعطش في الصحراء، والأكل الذي يأكله، ومعدته والآيات فيها، وحتى عن بوله وروثه<sup>1,2</sup>.

ونموذج آخر يفسر فيه الآية بحديث ثم التفسير العلمي وآية تدعم قوله:

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68] استشهد بأحاديث تتكلم عن النحل وفوائده، ثم تكلم طويلاً عن حقائق النحل بشكل علمي مذهل<sup>3</sup>. وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66]، إذ استشهد النابلسي بحديث عن اللبن وبين أنه نعمة عظيمة من الله تعالى بها على البشرية، ثم تكلم عن التفسير العلمي بمكونات ضرع البقرة كمثال يحتوي على غشاء سميك يقسمه لعدة أقسام كي لا يتمزق كونه يحمل ستين كيلو غراماً، و عن كيفية تحول الدم إلى حليب، وعن عظمة الخالق في تقديم هذا اللبن سائغاً للشاربين من بين ثلاث مئة لتر من الدم في الشعيرات يصنع لترا واحد من الحليب، وتدر كل يوم من ثلاثين إلى أربعين كيلو غراماً من الحليب، فهي معمل قائم بذاته، تأكل الحشيش، وتقدم الحليب، وهذه آية كبرى من آيات الله تعالى، وحين تلد البقرة يكف الضرع عن صنع الحليب لعشرة أيام ويفرز مادة صفراء اسمها اللبأ، فيها كمية من المصول واللقاحات والمناعات التي تملكها الأم.

وعن تركيب الحليب فهو الوسط الذي تجول فيه المواد الغذائية والمعادن والفيتامينات، وفي الحليب مواد دسمة على شكل كريات صغيرة جدا عالقة في هذا الوسط، فوزنها النوعي يجعلها تطفو على سطحه، وفي الحليب أيضاً مواد سكرية، والكالسيوم لبناء العظام والأسنان<sup>4</sup>، وفي ختام حديثه المطول يستشهد بقوله

<sup>1</sup> ينظر، مناع، أحمد ممدوح مناع، قدرة الإبل على تحمل العطش، معهد بحوث صحة الحيوان -أسبوط، العدد الثاني، 2009م، الصفحات(1-9)

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 336-333/10.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 143-140/5.

<sup>4</sup> كل شيء عن الحليب، الشبكة العنكبوتية: <https://www.alkhaleej.ae>

تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس:24]، وبقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطَّارِق]:

[5] <sup>1</sup>.

3. تفسير الآية بحديث وأقوال الصحابة والعلماء: يجمع النابلسي بين الأدلة في حال توفرت وكانت مناسبة قبل أن يتحدث عن التفسير العلمي.

فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:67]، يتحدث عن معنى كلمة "سكر" وهي الخمر، إذ كان الناس يتخذون من ثمرات النخيل خمراً يشربونها، ويذكر أقوال المفسرين الكبار كابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، عن كون الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:90].

ولكن قد يكون معنى كلمة "سكر" بمعنى الشراب الحلو الطعم أي العسل على لغة أهل الحبشة، فالآية محكمة وليست منسوخة، ثم يستشهد بعدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أهمها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش...) <sup>2</sup>، ثم يتحدث عن العسل وفوائده الكثيرة أهمها كونه يذيب كل الترسبات الدهنية في شرايين الإنسان، وعمر الإنسان من عمر شرايينه، فالعسل يحافظ على الإنسان ويمد في عمره ويمنعه من الكثير من الأمراض. <sup>3</sup>

ونموذج آخر يفسر فيه الآية بأقوال العلماء والآيات: عند تفسير النابلسي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:12-13]، يبين العلاقة ما بين

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، "137/5-139.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يا أيها النبي لم تحرم ما أحل لك تبتغي مرضات أزواجك حديث رقم، 4912، 156/6.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، "139/5-140.

هذه الآيات الكونية والآيات المتقدمة في صفات المؤمنين في السورة نفسها، وهي إن أردت \_أيها الإنسان\_ أن تتحلى بصفات المؤمنين، فتعرف إلى الله من هذا الطريق؛ طريق الكون بأن تنظر في آيات الله تعالى، ثم استدل بعدة آيات مناسبة أهمها قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الدَّارِيَات:20]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطَّارِق:5]، وبين أقوال العلماء في معنى "الإنسان" وهو مطلق الإنسان أو يعني الإنسان الأول؛ وهو آدم \_عليه السلام\_؛ لأن الله \_سبحانه وتعالى\_ خلقه من طين، وبين معنى "السلالة" وهي السلسلة، أي مراحل متلاحقة كالسلسلة، من طين، ثم نطفة، و بين معنى كلمة " من طين" مستشهدا بأبيات شعرية لأحد الشعراء، ثم انتقل للتفسير العلمي المطول عن علم تكون الجنين في رحم أمه بما يتعلق بالفترات الزمنية لمراحل تكون الجنين، وبتقدم علم تكون الجنين في السنوات الأخيرة، وأصبح بإمكان الأطباء والعلماء تصوير الجنين وهو في الرحم بما يتوافق مع كلام الله تعالى، ثم تحدث عن وصف الرحم "بالقرار المكين" لكونه يفرز مادة لاصقة لتلتصق بها البيضة الملقحة فهو قرار لها، ويحيط بالجنين سائل يمتص الصدمات، والرحم مُعلّق في حوض المرأة بأربطة إلى أقطار الحوض، ويصف علماء العظام حوض المرأة باحتوائه على عظام من أفسى العظام في النوع البشري، وهذا من أجل رد الصدمات<sup>1</sup>.

4. التفسير المباشر للآيات العلميّة: يغلب على التفسير العلميّ للآيات سمة المباشرة، فمثلا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2]، يبدأ النابلسي حديثه مباشرة عن النطفة بتفسير علمي؛ والنطفة حوين واحد من بين خمس مئة حوين يفرزها الرجل في اللقاء الزوجي، والحوين له غلاف ونواة فيها الموروثات التي تشغل العالم، وتسمى علم الهندسة الوراثية، فعلى النوية التي في الحوين المنوي خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة، فالإنسان مبرمج برمجة دقيقة، فهذه الموروثات هي التي تعطي الأوامر المبرمجة، وتنقسم الأوامر لقسمين: قسم

<sup>1</sup> ينظر النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 21/6-26. وينظر، الصلابي، علي محمد الصلابي، المعجزة الخالدة، دار المعرفة، مركز الكتاب الأكاديمي، 2012م، 33-38.

يكون الجنين، وقسم يودع في جهاز الجنين التناقلي؛ ليكون ابن الجنين على شاكلة أبيه، فيأتي الجنين بصفات قوية من الأبوين، وهذا معنى قوله: "نطفة أمشاج" فهي تنفي الاستساخ<sup>1</sup>.

نموذج آخر للتفسير المباشر للآيات ثم الاستشهاد بآيات مناسبة من القرآن الكريم: كتفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الْوَاقِعَةُ:75]. يبدأ النابلسي بكلام طويل مدعم بأرقام وقياسات دقيقة عن النجوم والكواكب وبعدها عن الأرض، فأقرب نجم ملتهب للأرض بعده أربع سنوات ضوئية، أي يحتاج لخمسين مليون سنة لنصل إليه بالسيارة، وأحدث مجرة اكتشفها العلماء بعد إرسال محطة فضائية لأكثر من ست سنوات في الفضاء بسرعة 40000 ميل، تبعد عنا حوالي 300000 بليون سنة ضوئية، ثم يتحدث عن مواقع النجوم وهي المسافات بين النجوم في الفضاء الخارجي الذي لا يعلم إلا الله إلى أين يمتد، وكما تقدم العلم؛ اكتشف العلماء مجرات جديدة، بل إن بعض المجرات لا تُرى بالتلسكوبات، وإنما تعرف بالإشعاعات الصوتية، وهذه النجوم لها مسارات تسير فيها وفق نظام دقيق، فما من نجم في السماء إلا وينطلق في مساره حول كوكب آخر، وهذه آية كبرى؛ لأن الله تعالى جعل الكون متجانباً فيما بينه وفق قانون دقيق تحكمه المسافة والكتلة، ولولا قانون التجاذب وحركة النجوم لتجمع الكون كله في كتلة واحدة، وانتهت الحياة<sup>2</sup>، ثم يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَأَلْسَمَاءٍ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطَّارِق: 11]. بأن كل كوكب ينطلق في مسارٍ ويرجع إلى نقطة البدء، فجميع المسارات دائرية، ولولا هذه الحركة الدائبة للنجوم لأصبحت كلها كتلة واحدة<sup>3</sup>. وكذلك عند تفسير النابلسي لقوله تعالى: ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الْعَاشِيَةَ: 19]. تحدث النابلسي عن التفسير العلمي للآية ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَؤسَى شَمِخَاتٍ﴾ [المُرْسَلَات: 27]. وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَؤسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النَّحْل: 15] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [النَّبَأ: 6]<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي 10/ 192. وينظر، جي، سائر بصمه جي، القاموس الفلكي الحديث، دار الكتب العلمية، 2017م، 50-55.

<sup>2</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 9/ 191-192.

<sup>3</sup> ينظر، جي، القاموس الفلكي الحديث، 87-92.

<sup>4</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 10/ 336.

5. التفسير العلمي بواسطة مثال يضعه أثناء تفسيره لآية من الآيات: كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: 3]. إذ ضرب النابلسي في تفسير الآية مثلاً عن الأرض وتساءل من الذي جعلها تدور حول الشمس؟ الله \_ سبحانه وتعالى\_، ولو توقفت عن الدوران لتوقفت الحياة، وعن قدرة الله بجعل الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، فلو توقفت عن الدوران حول نفسها لتوقفت أيضاً الحياة. وعن ميلان المحور، فلو دارت على محور مواز لمستوى الدوران لكان النهار سمردياً إلى يوم القيامة، ومائتان وخمسون درجة فوق الصفر، فمات كل شيء، أو ليل سمردي ودرجات كبيرة تحت الصفر يموت بها كل شيء.

ثم تحدث عن الشكل البيضاوي ببعده الأدنى قد تجذب فيه الشمس الأرض، لذلك زاد الله تعالى من سرعتها؛ لتنشأ من هذه السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، ثم انتقل للحديث عن الجنين في بطن أمه وأصله نقطة ماء تصير بعد تسعة أشهر كائناً له رأس، وشعر، وعينان، يعطس، ويتنفس، ويتحرك، وله كبد وبنكرياس، وأجزاء دقيقة كثيرة، فالله تعالى هو وحده من يدبر أمره بكل تلك التعقيدات في تسعة أشهر<sup>1</sup>.

6. عدم تكرار التفسير العلمي عند وروده في آيات مشابهة خشية الوقوع في التكرار المذموم: كما في آيات تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وردت الآيات في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم مرتبة حسب ترتيب المصحف، ففسر النابلسي الآية الأولى تفسيراً علمياً، وأشار للتفسير العلمي في الآية الثانية، ولم يُفسر أو يُشير للتفسير العلمي في الآية الثالثة<sup>2</sup>.

نموذج آخر لعدم تكرار التفسير العلمي دون فائدة في الآيات المشابهة: ففي سورة المؤمنون عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون: 13]. أسهب النابلسي في التفسير العلمي لهذه

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 291/4-293. وينظر: لمياء، أجهزة جسم الإنسان، 50-60.

<sup>2</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 5/ 184.

الآية، بينما عند ورود آية مشابهة في سورة المرسلات في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾

[المُرْسَلَات: 21]. اكتفى بالقول أن الرحم هو الوسط الهندسي في المرأة، وهو داخل حجرة عظمية متينة

هي الحوض<sup>1</sup>. فلم يُشر لتفسيره العلمي السابق ولم يكرره.

---

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 10 / 212.

## المبحث الثالث: التوسّع في التفسير العلميّ

### المطلب الاول: المقصود بالتوسّع في التفسير العلميّ

يُقصد بالتوسّع في التفسير العلميّ " احتواء القرآن الكريم على كُـل العلوم ما كان منها وما يكون، فالقرآن الكريم في نظر أصحاب هذا النهج يشمل سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها، وتعدد ألوانها، إلى جانب الدينية الاعتقادية والعلمية"<sup>1</sup>.

### توسّع النابلسي في المسائل العلميةّ في تفسيره:

توسّع النابلسي كثيراً في المسائل العلميةّ في تفسيره "تفسير النابلسي" ولعل عنوان كتاب تفسيره من أعظم الدلائل على ذلك " تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة"، فتسمية كتابه تعكس تعلقه بالمسائل العلميةّ وخوضه غمارها، وقد ذكر في مقدمته للكتاب: أن الآيات التي تُفسّر تفسيراً علمياً وتتحدث عن خلق الإنسان والكون تزيد عن ألف وثلاثمئة آية، وعدها وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وبهذا تحتل هذه الآيات سُـدس القرآن، لتكون هذه الآيات تعريفاً بالله \_ عز و جل\_ من خلال خلقه<sup>2</sup>.

الأسباب التي دفعت النابلسي إلى التوسع في عرض المسائل العلميةّ يعرضها النابلسي في تفسيره كما يلي:

1. تمسك المسلم بالدين الإسلامي وعدم ضلاله: فكيف يَضِل امرؤ يقرأ القرآن، والقرآن يُقدم له تفسيراً صحيحاً لحقيقة الكون والحياة والإنسان، من عند مكون الأكوان، وواهب الحياة وخالق الإنسان، ولكون هذه الآيات تزيد عن سُـدس القرآن الكريم، ورسالتها التعريف بالله \_ عز و جل\_ من خلال خلقه<sup>3</sup>.

2. كون الإنسان وتكوينه معجزة يعجز عن تحليلها وتفسيرها أعلم العلماء.

<sup>1</sup> الذهبي: التفسير والمفسرون: (349/2).

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 10/1.

<sup>3</sup> ينظر، المصدر السابق، 10/1.

3. التّفكّر في آيات الله من أوسع الطرق وأقصرها لتتعرف على الله تعالى: فالعناية بالآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان والكون وتفسيرها تفسيراً علمياً يُشكل قناعة كبيرة لدى النابلسي بأن التّفكّر أوسع باب وأقصر طريق نصل من خلاله إلى الله؛ لأنه يضعنا وجهاً لوجه أمام عظمة الله تعالى<sup>1</sup>.

4. التوسّع والتعرض للمسائل العلميّة يُحدث تكاملاً في عرض القرآن الكريم: فيقول النابلسي في تعقيبه على تفسير إحدى الآيات العلميّة في سورة غافر: " الإنسان بحاجة إلى آية كونية، وخبر عن أمة سابقة.

وحكم شرعي، ومشهد من مشاهد يوم القيامة، كل ذلك آخذ بعضه برقاب بعض، وبه يكون التكامل؛ لذلك كانت السورة من السُّور؛ أي كأنها سور يحيط بالآيات إحاطة سور البستان بالأشجار<sup>2</sup>.

5. يُعد التفسير العلميّ وسيلة لمجادلة الكفار: فالكفر عمى يحجب صاحبه عن رؤية عظمة الله، فالتفسير العلميّ يزيل تلك الحُجب عن الكفار، فهو وسيلة لمجادلة الكفار الذين لا يؤمنون بالله تعالى، ولا يقبلون الوعظ والإرشاد<sup>3</sup>.

ملاحح التوسّع العلميّ في تفسير النابلسي:

توسّع النابلسي في التفسير العلميّ توسّعاً كبيراً مقارنةً بباقي الجوانب، بحيث طغى التفسير العلميّ على بقية الجوانب التي جاء بها القرآن الكريم، ومن جميل ما قاله الزرقاني بهذا الصدد: " تلك الآثار الجليّة، لا تتحقق جلالتها إلا إذا روعي فيها عدم طغيان تلك المباحث على مقصود القرآن الأول وهو الهداية، والإعجاز، أما إن أسرف المُفسّر، واشتغل بتفريعات العلوم الأدبية، ونظريات الفنون الكونية، فلم يعد التفسير تفسيراً علمياً، وتنعكس الآية، ويكون أشبه بكتب العلوم والفنون منه بكتب التفسير<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 15/1، 319/1.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 8/ 110.

<sup>3</sup> ينظر، المصدر السابق، 8/110.

<sup>4</sup> الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (ت: 1710م): مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 1996م، 73/2.

فمن ملامح توسّع النابلسي في تفسيره:

1. التوسّع الكبير في تفسير كلمة: أول ملامح التوسّع لدى النابلسي تجده يتمثل في تعمق النابلسي وتفسيره العلميّ وتوسّعه فيه عند كلمة واحدة، فنجد النابلسي يقف كثيراً عند كلمة في إحدى الآيات، ويُسهب في الحديث عنها، فيتجاوز في بعض الأحيان ثلاث صفحات بمعدل تسعة وعشرين سطراً في كل صفحة، ويُعبر عن تلك الكلمات قبل البدء بتفسيرها بقوله: "فو الله الذي لا إله إلا هو لو أردت أن أفصل في تلك الكلمة فقط لا يكفي عام بأكمله!"<sup>1</sup>.

2. التوسّع بسبب ربط الآيات ببعضها والاستشهاد بالأحاديث النبوية: يفسر النابلسي الآية بآية أخرى مثلاً، ويُفسّر هذه الآية، بل يشير إلى ما فيها من تفسيرات علميّة، ثم يكمل شرح الآية الرئيسية، أو يستشهد بحديث مناسب للآية المراد تفسيرها، ويفسّر هذا الحديث وما يحويه من إشارات علميّة مناسبة لموضوع الآية، ويمكن أيضاً أن يتوسّع في التفسير العلميّ بسبب اللغة، فهذه الأمور تجعل النابلسي يتوسّع في تفسيره للآيات ويتشعب وينتقل إلى الحديث عن عدة موضوعات علميّة؛ بسبب ربط الآيات ببعضها في التفسير مع الأحاديث واللغة، وحتى أقوال العلماء السابقين والصحابة التي قد تكون منطلقاً للنابلسي في تفسيره العلميّ، ويُعد هذا النوع أكبر أنواع التوسّع - مقارنة بغيره من الأنواع - من ملامح توسّعه في التفسير العلميّ، فقد يستغرق عشرات الصفحات في التفسير لآية أبرز موضوع فيها هو التفسير العلميّ.

3. التوسّع في التفسير لأنه محاضرات مسجلة: كتاب النابلسي محاضرات مسجلة تم تدوينها كما هي<sup>2</sup>، لذلك تختلف عن طريقة التأليف والتفسير العادية، فمثلاً يمكن أن تكون هناك أسئلة خلال درسه، ويمكن أن يمر بموقف عابر يتطلب منه الوقوف عنده، ويمكن أيضاً أن يتعمق في التفسير العلميّ لأن الآيات التي يُفسرها لا تحتوي على إشارات فيعمد إلى إدخال أمور علميّة تعرف إليها وربطها

<sup>1</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 18/5.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 13-12/1.

بطريقة غير مباشرة مع الآيات، فلو كان الكتاب قد تم تأليفه ككتب التفسير لكان له شكل آخر، لذلك نجد العشوائية في الكتاب واضحة.

4. اهتمام النابلسي بالتفسير العلمي وتأليفه موسوعات فيه: فالنابلسي مولع بالتفسير العلمي كثيراً، فله مؤلفات عديدة خاصة بالتفسير العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، أشهرها: "موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة"، "آيات الله في الأفاق"، و"الموسوعة الثانية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" "آيات الله في الإنسان"، فليس غريباً على النابلسي أن يتوسّع في التفسير العلمي ويقف عنده كثيراً، حتى يبرز التفسير العلمي بين العلوم الأخرى كالقمر على سائر الكواكب، فنجد تفسير النابلسي يزخر بالمعاني العلمية حين يستشهد بحديث نبوي ويقوم بتفسيره بشكل علمي كونه لديه موسوعات في التفسير خاصة بالسنة النبوية، وقد عرض الباحث نماذج عن الأحاديث والاستشهاد بها في التفسير العلمي سابقاً.

#### المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتوسّع في تفسيره العلمي:

من أبرز معالم تفسير النابلسي توسّعه في التفسير العلمي، حتى كاد النابلسي لا يكتب اسمه إلا ويقترن معه التفسير العلمي، فلو فتحت تفسيره بأجزائه العشرة بشكل عشوائي لوجدت أكثر ما يتكرر معك التفسير العلمي والحديث عنه، فبعد حديثنا عن أسباب توسّعه في تفسيره العلمي وأسبابها، وملامح هذا التوسّع، سيتعرض الباحث في هذا المطلب لبعض النماذج التطبيقية التي تبين توسّعه الكبير في التفسير العلمي ويختصرها الباحث لتوضيح الفكرة منها:

1. توسّع النابلسي في تفسير كلمة من آية قرآنية: ففي تفسيره لسورة الحجر عند قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ

مَدَدْنَهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: 19]. يقف النابلسي عند آخر

كلمة في الآية "موزون" ويبدأ بالقسم بالله أنه لا يكفي هذه الكلمة عام بأكمله في الحديث عنها

والتفصيل فيها، ثم يفصل الحديث عنها في عدة صفحات، فيبدأ الحديث عن النبات فهو موزون، فكم

طنا من القمح يحتاج سكان الأرض في العام؟ فالقمح مادة أساسية في الحياة والله تعالى ينبت لهم من القمح ما يكفي حاجتهم، فهناك ثلاثة عشر ألف نوع من القمح يعرفها العلماء، منه ما ينبت في الجبال، ومنه في السهول، ومنه في السواحل، ومنه في أعماق الأرض، وفي كل أنواع الأرض؛ كونه غذاءً أساسياً للإنسان، فالله تعالى جعله بكميات تكفي حاجة سكان الأرض، وبأنواع تغطي كل المناطق، فكلمة "موزون" تشمل الكمية، وحتى النوعية أيضاً للنباتات؛ فيفصل الحديث عنها، ثم ينتقل إلى الحديث عن تركيب القمح المعجز وتناسبه مع تركيب الإنسان، فللمحمة غلاف خارجي يزن تسعة بالمئة من وزنها، وغلاف داخلي يزن ثلاثة بالمئة من وزنها، وفي داخل القمح مادة نشوية تزن خمسة وثمانين بالمئة من وزنها، وفي قشرة القمح الخارجية عدة فيتامينات يُفصلها، وفيها الفسفور، والحديد، والكالسيوم، واليود، وغيرها، ثم يتحدث عن فوائد هذه الفيتامينات كما تحدث عنها الأطباء، ثم ينتقل إلى الحديث عن أحد النباتات وهو "اللفت" ويسهب في الحديث عنه وعن فوائده، ثم يتحدث عن كتب الطب والأغذية، يقول: فلو درسناها كلها عن كل غذاء ماذا يحتوي لكان هذا الموضوع كله تفسيراً متواضعاً لهذه الكلمة: "موزون"، ويختتم حديثه بالانتقال إلى الحديث عن التمر وفوائده، وعن أقوال العلماء والأطباء في الكثير من الأغذية التي لو اجتمع علماء الأرض على دراستها وتحليلها؛ ما زادوا بعد كل هذه الدراسات على أنهم فسروا هذه الكلمة "موزون"<sup>1</sup>.

نموذج آخر لتوسّع النابلسي في كلمة واحدة من آية قرآنية: ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117]. يقف النابلسي عند أول كلمة من الآية "بديع" فيتحدث عن قدرة الله تعالى في خلق كل شيء من لا شيء، على عكس مخترعات الإنسان التي يكتشفها ويصنعها كل يوم وتحتاج لمثال سابق يعتمد عليه في صناعتها<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 17/5-20. وينظر: الجدلي، عفاف عبد الرحمن، علوم الأطعمة التجريبية، جامعة حلون، 1991م، مجموعة النيل العربية للطباعة والنشر، ص 190-200.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 1/ 318-320.

2. توسّع النابلسي لربط الآيات ببعضها في تفسيره والاستشهاد بالأحاديث واللغة: فمثلاً عند تفسير

النابلسي لأول سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿الْم ۝۱﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿البقرة: 1-

[2]. استغرق النابلسي في تفسيره لهذه الآية ما يقارب عشرين صفحة في تفسيره بمعدل ثلاثين سطرًا

لكل صفحة! فبدأ بالحديث عن الحروف المقطعة مُستشهداً بعدة أحاديث نبوية، وآيات قرآنية، وتشعب

في حديثه لذكر كل السور التي تبدأ بالحروف المقطعة وذكر آياتها والحديث عنها بشكل مُفصل،

وعن الإعجاز في هذه الحروف، وأن هذه الحروف نُظمت مُعجز، وأن هناك إعجازاً بلاغياً وتاريخياً

وعلمياً في القرآن الكريم لا ينتهي الحديث عنه ولو في ساعات طويلة، فأية كلمة في القرآن الكريم

تعني إعجازاً كما عبر النابلسي بشكل صريح في أثناء تفسيره للآية، ثم انتقل إلى الحديث عن الكتاب

مُستشهداً ومُفسراً به بعدة آيات، فهو يحتوي قصصاً يتمثل فيها الإعجاز الإخباري الذي يتناول

الماضي والحاضر والمستقبل، ويُسهب في الحديث عنها مُستشهداً بآيات كثيرة منها قوله تعالى:

﴿الْم ۝ غَلَبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الرُّوم: 1-3]. ويفسر هذه الآية

تفسيراً علمياً موسعاً أكثر مما يتعرض له عند تفسير هذه الآية في موضوعها في سورة الروم، فيتكلم

عن الإعجاز فيها فهي أخفض نقطة على سطح الأرض عرفها العلم الحديث عن طريق تحديد الموقع

بالاعتماد على الأقمار الصناعية، ثم يضرب أمثلة على الإعجاز العلمي بشكل عام مُستشهداً بآيات

قرآنية في مواضع مختلفة، ويظل يتحدث عن هذا القرآن ومعجزاته العظيمة، حتى يصل إلى الإبداع

في خلق الإنسان وتجلي عظمة الخالق فيه، فيصف ذلك بشكل علمي دقيق وموسع، ثم ينتقل إلى

الحديث عن الحيوانات والنباتات بالوتيرة نفسها<sup>1</sup>.

ونموذج آخر للتوسّع العلمي بسبب تفسير الآيات بالأحاديث النبوية واللغة العربية: ففي تفسيره لقوله تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ۝۱۸ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 1/ 49-68.

فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 68-69]. يتحدث النابلسي عن النحل والإعجاز في خلقه كما أثبت العلم الحديث، فمملكة النحل فيها نظام عجيب وآيات مُحكمة ودلائل باهرة على عظمة الله تعالى، مُستشهداً بعدة أحاديث عن النبي محمد \_صلى الله عليه وسلم\_ ثم يُفسر هذه الأحاديث -مما يزيد الحديث عن التفسير العلمي بشكل موسع-، بالإضافة إلى ما يلفت النظر في هذه الآيات دقة مُصطلحات اللغة العربيّة مما جعل النابلسي يتوسّع في تفسيره العلمي، فمثلاً كلمة "اتخذي" هذه الياء ياء مؤنثة المخاطبة، تدل على النحلات العاملات التي تجوب الحقول والبساتين، من أجل أن تمتص رحيق الأزهار، فالنحلات العاملات هنّ المعنيات بهذه الآية، فمن كان يعرف في عصر النبي \_صلى الله عليه وسلم\_ أن من النحل ذكوراً، ومن النحل إناثاً، ولكل منها مهمة تختص بها، وأن النحلات الإناث هن المعنيات بهذا الخطاب؟، وفي حرف العطف "ثم" الذي يفيد الترتيب على التراخي؛ لأن النحل لا يبحث عن رحيق الأزهار إلا بعد أن يستقر في خليته، وإشارة إلى أن النحلة مُخيرة في أكلها من كل الثمرات التي خلقها الله تعالى، وكلمة "فيه شفاء" نكرة لا تعني الشمول، وهذا يعني أن هناك أمراضاً كثيرة جداً يعد العسل علاجاً لها، ولو أن الله تعالى قال: فيه الشفاء للناس؛ لكان المعنى: أن أي مرض علاجه العسل، وهذا كلام غير علمي، لكن الله تعالى جعلها نكرة تتوافق مع العلم، ثم يتحدث عن العسل وعلاجه بشكل مُفصل يبين فيه العلاج الذي يُستخدم كما اكتشفه العلم الحديث مُستشهداً بأقوال كبار الأطباء<sup>1</sup>.

3. التوسّع في التفسير لأنه محاضرات مُسجلة: ففي تفسيره لسورة النحل عند قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: 69]. يتحدث النابلسي عن العسل وفوائده كما أثبتها الطب الحديث، وعن أنواع العسل، والعسل كعلاج للجروح والكثير من الأمراض، وفي خضم تفسيره يقول: "حدثني طبيب جراح من كبار أطباء الجراحة قال لي: إذا جاءتني حالات عسرة من

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 5/ 140-145. و ينظر، يوريش، الدكتور ن. يوريش، العلاج بعسل النحل، دار القلم-دمشق، 2016م، ترجمة: محمد الحلوجي، ص220-230.

جروح متطورة؛ أفتح الجرح وأنظفه، ثم أضع فيه كمية من العسل، وهذا ما تعلمه في بريطانيا...<sup>1</sup>. وهذا التوسّع والخطاب الذي يتحدث به إلى المستمع سببه طبيعة التفسير على شكل محاضرات كونه يتحدث إلى الناس ويخبرهم عن طبيب بهذه الصيغة "حدثني".

توسّع النابلسي معتدل مقارنة بغيره من التفسير:

الأصل في التفسير أن يتوسط دون إفراط أو تفريط، فالقرآن الكريم فيه الكثير من الآيات الدالة على قدرة الله وعظمته بشكل صريح، فالتوسّع الكبير قد يبعد القارئ عن الإرشاد والهداية وهي الغاية الرئيسة للقرآن الكريم، فعلى الرغم من توسّع النابلسي في تفسيره العلمي؛ فإنه يُعدّ توسّعاً معتدلاً مقارنة بغيره من العلوم الأخرى في تفسيره، ويُعدّ توسّعاً معقولاً ومقبولاً نوعاً ما، ولا يصل إلى درجة التوسّع المبالغ فيه كمن كان يصف تفسيره العلمي للقرآن بقوله: "القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل علم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن"<sup>2</sup> فالنابلسي في مقدمته بين أن عدد الآيات العلمية في تفسيره يبلغ حوالي ألف وثلاثمئة آية، وهي تعدل سدس القرآن الكريم<sup>3</sup>. فشتان بين التفسير العلمي المعتدل، ويصل إلى السدس، وبين من يصف القرآن بكون كلماته كلها تحوي تفسيراً علمياً وكأنه كتاب علمي فقط.

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 55/ 143-144.

<sup>2</sup> الغزالي، أبو حامد محمد الغزالي النيسابوري، ت: 1111م، إحياء علوم الدين، مطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، 1356هـ، 3/ 135.

<sup>3</sup> ينظر، المصدر السابق، 10/1.

## المبحث الرابع: التفسير العلمي للآيات العامة

### المطلب الأول: المقصود بالتفسير العلمي للآيات العامة

بعد توضيح توسع النابلسي في تفسيره، وأسباب توسعه، وملامح التوسع، سيقف الباحث عند الآيات العامة التي فسرها النابلسي بشكل علمي بغير قصد أحياناً، وأحياناً كونه يُقحم العلم في كل مناسبة، فهناك الكثير من الآيات العامة بمضمونها، أي أنها لا تتحدث عن العلم، فموضوعها عام يشمل أموراً أخرى، وفسر النابلسي تلك الآيات بشكل علمي، وهذا القسم ينقسم إلى قسمين:

1. ضرب أمثلة علمية على آيات عامة: لا يكاد النابلسي يُفسر جملة من الآيات إلا ويضع في ثناياها تفسيراً علمياً، فتفسير النابلسي يزخر بالأمثلة العلمية التي يضربها على الآيات لتقريب الصورة أحياناً، ولكونه يؤمن كثيراً بالتفسير العلمي الذي ينبع من القرآن الكريم بلا توقف، فالنابلسي تارة يضع أمثلة علمية موسعة وكثيرة على آية علمية، وتارة يضع الأمثلة على آيات لا تحتوي على تفسير علمي، فالنابلسي مولع بضرب الأمثلة والقصص في تفسيره العادي، فمن الطبيعي أن ينهج الأسلوب نفسه في التفسير العلمي بضرب الأمثلة العلمية على الآيات، فتراه عند آية تتحدث عن الشكر أو الخلق يتحدث بشكل علمي عن العديد من الأمثلة التي تحتاج لشكر الله تعالى أو عن كل مخلوقات الله تعالى بدءاً من الإنسان حتى الحيوان والنباتات ومظاهر تجلي قدرة الله تعالى فيها وآياته العظيمة.

2. التفسير العلمي للآيات العامة: يُقحم النابلسي في تفسيره الكثير من التفسيرات العلمية للآيات عامة لا يوجد لها تفسير علمي، فيفسر الآية تفسيراً علمياً مع عدم وجود إشارات تدعم ذلك كونه مولع بالتفسير العلمي، فتراه يبدأ بالتفسير العلمي للآية ويخوض فيه مُسهباً حتى ينسى القارئ موضوع الآية وعلاقة التفسير بها.

فمن أبرز هذه الأشكال والمعالم: تفسير آية عامة بحكمة علمية؛ فيفسر تلك الآية بحكمة علمية بعيدة عن الآية، وربط الآيات العامة بالظواهر الكونية والعلمية، وتفسير الآيات العامة بتفسير علمي بعيد عن مضمون الآية.

## المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتفسير العلمي للآيات العامة

### 1. ضرب أمثلة علمية على الآيات العامة:

ففي بداية سورة الفاتحة يقف النابلسي عند البسملة طويلاً وعند الآية الأولى في السورة في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 1-2]. فيفسر الآيتين بما يقارب عشرين صفحة تتضمن الكثير من الأمثلة العلمية، فعند التسمية لشرب الماء يتحدث عن أصل الماء والتبخّر والسحاب والرياح، وقدرة الله تعالى في إنزال المطر، والبحار وعمقها، ونسبة المياه بالنسبة لليابسة، ثم يضرب مثلاً عند ذبح البقرة والتسمية عليها، ومرض جنون البقر، وعن الغدة الثديية في البقر التي ترشح منها قطرات الحليب من بين الأوعية الدموية الكثيفة، وكذلك يضرب مثلاً عن أجهزة جسم الإنسان المعقدة ودقتها بكونها آية من آيات الله تعالى التي تحتاج الشكر والحمد لله تعالى<sup>1</sup>.

فضرب الأمثلة عند النابلسي توسّع فيه كثيراً ويوجد الكثير من الأمثلة التي تحتاج للكثير من الصفحات التي تجدها في تفسير النابلسي، كضربه للمثل في تفسيره لبدائيات سورة النازعات<sup>2</sup>، وبدائيات سورة يونس<sup>3</sup>.

2. التفسير العلمي للآيات العامة: تعددت أشكال التفسير العلمي للآيات العامة في تفسير النابلسي، فمن

أبرز هذه الأشكال والمعالم:

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 1/ 17-36.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 10/ 229.

<sup>3</sup> المصدر السابق، 4/ 293.

أولاً: تفسير آية عامة -لا تحتوي على إشارات علمية- وربطها بالعلم ومكتشافته:

كما في تفسيره لسورة الحديد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25]. يقف النابلسي عند تفسيره كثيراً، فيتكلم بشكل علمي عن الحديد وفوائده ونسبته، ثم ينتقل للحديد في جسم الإنسان كونه أحد العناصر الغذائية لجسم الإنسان، فجسم الإنسان يحوي ثلاثة غرامات من الحديد؛ خمسة من مئة ألف من وزنه، ولولا هذه الغرامات لهلك الإنسان ومات، وأن هذا الحديد يدخل في (الهيموغلوبين) في الكرية الحمراء، وهي المادة التي تحمل الأكسجين من الرئتين إلى الخلايا، وفي الثانية الواحدة تُنتج معامل كريات الدم الحمراء في جسم الإنسان مليونين ونصف مليون كرية حمراء، ويموت في الثانية نفسها العدد نفسه لحكمة بالغة، فلا تطرح خارج الجسم، بل يُذهب بها إلى مقبرة الطحال، فتُحلَّل، ويؤخذ الحديد منها، ثم ينتقل إلى الحديد في النباتات، والحيوانات، والأسماك، والنباتات البحرية التي تستهلك من الحديد ما يقارب نصف مليار طن، أي ما تنتجه مناجم الحديد في العالم، وينتقل للحديد عن الحديد في الدماء، وأعراض نقص الحديد، ومنافعه وفوائده لجسم الإنسان<sup>1</sup>.

ثانياً: ربط آيات عامة بظواهر كونية وعلمية: ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25]. في تفسيره لهذه الآية يربط النابلسي الميزان بالحديد كون الحديد يصنع منه أنواع الأسلحة كافة، ثم يتحدث عن الحديد والمعادن، وعن مخزون الحديد في الأرض، وعن كمية الحديد في الأرض والتي تساوي خمسة في المئة من وزن القشرة الأرضية؛ أي خمسة وسبعين ألف مليون طن، ثم يدخل في تفصيل الحديد في جسم الإنسان بشكل مُوسع، ثم ينتقل إلى

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 226-223/19. وينظر، مزاهرة، أيمن مزاهرة، تغذية الإنسان الفرد والمجتمع، دار الخليج، 2017م، 136-139.

الحديث عن النيازك كون نسبة الحديد فيها عالية جداً، فهناك نيزك نزل منه ستون طنًا، وترك حفرة قطرها ألف ومئتا متر، وعمقها مئتا متر!<sup>1</sup>

نموذج آخر لربط آيات عامة بظواهر علمية: كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُونَ﴾ [الحجر: 19]. ربط النابلسي هذه الآية مع ظاهرة الجبال البركانية والرسوبية، فمعظم الجبال البركانية نشأت من إلقاء الحمم من أعماق البراكين، وهذا يعني أن الجبل ألقى إلقاء<sup>2</sup>.

ثالثاً: تفسير آيات عامة بتفسيرات علمية بعيدة عن المضمون: وهذا النوع بارز مقارنة بغيره من الأنواع في تفسير النابلسي، فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: 10]. يتعمق النابلسي في تفسير هذه الآية وربطها بالتفسير العلمي، وكما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصافات: 5]. فالآية عامة تتحدث عن خلق السماوات والأرض، ولكن النابلسي يتكلم عند تفسيرها عن المجرات وبعدها عن كوكب الأرض، فيبعد أحدها ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية، وبعدها نجم المرأة المسلسلة الذي يبلغ مليون سنة، وغيرها من المجرات، ثم ينتقل إلى الحديث عن المدارات، ثم ينتقل إلى التنفس والأكسجين والنباتات والمياه المعدنية، فمياه التحلية مياه مقطرة لا تصلح للشرب، ولا بد أن تخطئ بمياه الآبار؛ كي تأخذ بعضاً من المعادن المنحلة فيها، فالإنسان بحاجة إلى عنصر اليود بمقدار واحد بالمليون وإذا نقص هذا اليود عن هذه النسبة الضئيلة جداً؛ أصيب الإنسان بأمراض أخطرها أمراض الغدة الدرقية، فالله تعالى هو من أودع هذه المعادن في الماء، ثم يتحدث عن عمليات القلب المفتوح ومخاطرها وتكاليفها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 9/ 223-226.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 18/5.

<sup>3</sup> ينظر المصدر السابق، 503-500/7.

## المبحث الخامس: التفسير العلمي للآيات بالحقائق العلمية

### المطلب الأول: المقصود بتفسير الآيات بالحقائق العلمية

حرص النابلسي على أن يكون التفسير العلمي دقيقاً ومن مصادر موثوقة وحقائق مُعتمدة، لا نظريات مُتداعية ومُتغيرة من وقت إلى آخر، وقد عبّر النابلسي في مقدمة تفسيره عن مصادره بقوله: "كنت أبدأ جهداً كبيراً في إعداد الدروس، من أمهات الكتب...، ومن خلال الموسوعات العلمية العالمية، التي تضمنت البحوث العلمية الأخيرة القطعية والمعتمدة التي تؤكد في مجموعها أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن"<sup>1</sup>. وبين النابلسي أنه عين فريقاً مُختصاً بالدراسات العلمية من طبّ وهندسة، وعلوم طبيعية وتاريخية وجغرافية وغير ذلك، لمراجعة الأرقام والإحصائيات وبعض المسائل العلمية التي وردت في تفسيره.<sup>2</sup>

الفرق بين الحقيقة العلمية والنظريات والفرضيات:

هناك فرق واضح بين النظريات والفرضيات والحقائق العلمية، وهي مراحل متتابعة في منهج العلوم التجريبية الذي يبدأ بالفروض، ثم بالنظريات، وينتهي بالحقيقة العلمية.

تعريف الفرض: هو تخمين واستنتاج ذكي، يصوغه الباحث ويتبناه مؤقتاً؛ لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر.<sup>3</sup>

تعريف النظرية: توضيح علاقة الأثر والسبب بين المتغيرات لشرح ظواهر مُعينة، وتُترك النظرية العلمية للزمن والمستقبل؛ لإجراء مزيد من الدراسات والأبحاث حولها، وبعده فترة زمنية يحكم العلماء لها أو عليها، فإذا وجدوا لها شواهد وبراهين وأدلة قاطعة تؤكدتها ارتقت من نظرية علمية إلى حقيقة علمية قطعية.

<sup>1</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 1/ 13.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 13/1-14.

<sup>3</sup> ينظر: المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ص29.

وإذا لم يجدوا لها أدلة وبراهين قاطعة فقدت مصداقيتها وبقيت مجرد نظرية أو تتلاشى وتختفي، والنظريات مراتب بحسب قربها وبعدها من الحقيقة العلميّة، والتي تُقدم شرحاً أكثر منطقية للملاحظات تعد من أقوى النظريات<sup>1</sup>.

تعريف الحقيقة العلميّة: اليقينيّات والمُسلّمات من العلوم التي يُمكن إثباتها بالحس والتجربة والدُّرّهان، حتى لا تكون محل شك أو جدال، بحسب قُدرة العقل البشري<sup>2</sup>.

الحقيقة العلميّة والنظريّة عند النابلسي: يتعرض النابلسي في تفسيره لسورة الأنبياء للنظريّة والحقيقة العلميّة، فيُصرّح أنّ النظريّة لم يتم تحقيقها، فالنظريّة شيء والحقيقة شيء آخر، ولا يمكن لحقائق الدين أن تتناقض مع حقائق العلم؛ لأن الدين من عند الله تعالى، ولأن العلم من قوانين الله، وإذا كان هناك تناقض؛ فبين نظرية لم تتّبت صحتّها وحقيقتها في القرآن، أو بين خُرافة في الدين وحقيقة في العلم، وأما أن نجد بين حقائق القرآن وحقائق العلم تناقضاً؛ فهذا مُستحيل؛ لأن العلم اليقيني الذي وصل الإنسان إليه عن طريق التجربة هو علمٌ ثابت، وهو تعبير عن علاقات ثابتة بين الأشياء ولكون الحقيقة القرآنية وحي من السماء، ولا يوجد تناقض بين كلام الله وخلقِه<sup>3</sup>.

لا يُفسّر القرآن الكريم إلا بالحقيقة العلميّة المقطوع بها: يؤكد النابلسي مذهبه في تحريه الدقة في الحقائق العلميّة في مُقدمة موسوعته في الإعجاز العلميّ في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، فيبين بعض الضوابط في الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم والسنة النبويّة، من أهمها: ألا تُجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل هي الأصل، فما وافقها قُبل، وما عارضها رُفض.

<sup>1</sup> ينظر المصلح، الإعجاز العلميّ في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ص 29.

<sup>2</sup> ينظر، عيدروس، رياض عيدروس عبد الله، ضوابط الاستعانة بالحقائق العلميّة عند الترجيح بين أقوال المفسّرين، رابطة العالم الإسلامي، يناير 2022، ع 62، الصفحات من 54-64.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 481/5-482.

وألا يُفسّر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم، لا بالفرضيات والنظريات التي ما تزال موضع فحصٍ وتمحيص، فالتفسير العلميّ مرفوضٌ إذا اعتمد على نظريات علميّة لم تثبت، ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلميّة المقطوع بها<sup>1</sup>.

ملاحح الحقائق العلميّة في تفسير النابلسي: هناك عدة ملاحح للتفسير بالحقائق العلميّة تستنتجها عند قراءة تفسير النابلسي في الآيات العلميّة من أبرزها:

1. اعتماده على الحقيقة العلميّة في تفسير الآيات: هناك توافق بين ما بيّنه النابلسي في مقدمته وما ذكره في تفسيره عن التزامه بالحقيقة العلميّة الثابتة، فيعتمد إلى ربط الحقيقة العلميّة الثابتة بآيات القرآن الكريم، والتتويه إلى كونها حقيقة لا تتعارض مع القرآن الكريم، فلا يوجد تناقض بين كلام الله تعالى وخلقّه<sup>2</sup>.

2. الرد على النظريّات العلميّة المخالفة لآيات القرآن الكريم: لم يكتفِ النابلسي بالاحتجاج بالحقائق العلميّة، وعدم اعتماده على النظريّات العلميّة؛ بل كان يرد في كل فرصة تسنح له على الشبهات المُمتمثلة بنظرية علميّة غير ثابتة ومخالفة للقوانين العلميّة، فلم ينسق وراء النظريّات المشهورة في حينها أمثال "نظرية دارون"<sup>3</sup> حتى تبناها بعض المفسرين أمثال حسن حنفي في كتابه " نظرية الدوائر الثلاث"<sup>4</sup>. فكان النابلسي يقف مطولاً عند تلك النظريّات ويرد بشكل علمي مُقنع، ثم يبين الفروق بين النظرية والحقيقة العلميّة، ويفند تلك النظرية ويبين هشاشتها<sup>5</sup>.

3. الإشارة إلى النظريّات والتفسير بها أحياناً: التزم النابلسي باعتماده على الحقائق العلميّة في تفسيره، لكنه استعان بالنظريّات الحديثة في موضوعين فقط، قال في أحدهما: "نظرية نرى توافقها مع الآية

<sup>1</sup> ينظر: النابلسي: محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الإنسان، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، جادة ابن سينا، ط4، 2010م، (27-28).

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 482/5.

<sup>3</sup> نظرية النشوء والارتقاء التي قال بها دارون تتبنى فرضية تاريخية عن الإنسان وهي "إن الإنسان تسلسل ضمن حلقات مختلفة من التطور النوعي، تدرج فيها من البسيط إلى المعقد ومن البدائية إلى الرقي في كل من الشكل والفكر" (البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، 253).

<sup>4</sup> حنفي، حسن حنفي، ت: 2021م، نظرية الدوائر الثلاث (نظرية دارون ونظرية التطور) دار العين للنشر والتوزيع، 2008م.

<sup>5</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 481/5-482.

لكنها لم تصل لدرجة الحقيقة العلمية<sup>1</sup>، وأما في الموضوع الثاني فاعتمد على النظرية الحديثة وفسر بها دون أن ينوه إلى أنها نظرية لا يمكن الاعتماد عليها حتى لو حصل توافق ظاهري<sup>2</sup>.

4. عدم التعرض للمبهات في التفسير العلمي: المبهات: هي التي استأثر الله - سبحانه وتعالى - بعلمها، ولم يأت نص قطعي ببيانها وتوضيحها، فعلم المبهات مرجعُ النقل المحض، فلا مجال للرأي فيه<sup>3</sup>. يقول الزركشي: "إلا أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستنثاره بعلمه كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنَ دُونِهِمْ لَّا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60]. والعجب ممن تجرأ وقال: قيل: إنهم من قريظة، وقيل: من الجن<sup>4</sup>. موقف النابلسي من المبهات واضح في قوله: "ينبغي أن نسكت عما سكت عنه الله تعالى، فلو أن فيها فائدة لذكرها الله - عز وجل -<sup>5</sup>، والتزم النابلسي بهذا القيد الذي وضعه على نفسه في تفسيره، فلا يخوض في المبهات.

5. عدم تعرضه لآيات العقيدة في تفسيره العلمي: فالمُتتبع لتفسير النابلسي يدرك أن هدف المؤلف من التفسير هو إحياء الإيمان في القلوب، يكون القرآن الكريم منهج حياة، ومن أعظم غاياته الهداية والإرشاد؛ حتى في توسعه لعرض المسائل العلمية<sup>6</sup>. يستقي النابلسي أمور الاعتقاد من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية، ومن أقوال السلف. ولا يخرج عما قرره سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة في تقرير أمور العقيدة، ويرى النابلسي أن العقيدة الإسلامية أساس بناء الشخصية المثالية المسلمة لمواجهة التحديات والواقع المتغير، فيقول النابلسي في هذا الصدد: "يجب أن تعتق عقيدة صحيحة يقينية، ولا تعتقد اعتقادات لست متيقناً من صحتها، فالذي يبني حياته على الشك ليس مؤمناً، ومع اليقين رقي، فبقدر ما يكون عندك من يقينيات يكون التزامك وبقدر تصوراتك الصحيحة تكون

<sup>1</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 50/9.

<sup>2</sup> المصدر السابق: 153/5-154.

<sup>3</sup> ينظر، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 95/4.

<sup>4</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 155/1.

<sup>5</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 594/7.

<sup>6</sup> المصدر السابق، 86/7.

استقامتك، فكل أثرٍ داخليّ ينعكس على السلوك الخارجي<sup>1</sup>، وحين يعرض مذاهب المخالفين، يعرض لها بعبارةٍ موجزةٍ بليغةٍ يبين فيها مواطن الخلل، من غير تجريح، كما في قوله وهو يتحدث عن الموقف الأمثل في تعامله مع الصفات: "وأكمل موقف فيها أن نكل معناها إلى الله، وبعضهم تأولها تأويلاً يتناسب مع كمال الله، ففسروا "يد الله" أي قدرته، ونفسه: ذاته... فإذا لم نتأولها، وفوضنا إلى الله تأويلها، نكون قد سلمنا، وإذا اجتهدنا بتأويل يليق بكمال الله، نكون قد وفقنا، وأما أن نشبه الله تعالى ببعض خلقه، فهذا كلام غير مقبول، فالذين أنكروا ضلوا، والذين جسدوها ضلوا، ولكن الذين فوضوها كانوا أكمل الناس، والذين أولوا قد وفقوا"<sup>2</sup>.

6. عدم تعرضه لتفسير علامات الساعة في القرآن: ذكر الله -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم أن الساعة (يوم القيامة) لن تقوم حتى تسبقها أشراط، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ط فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 18]. أي أمارات اقترابها، ولقد تباينت آراء العلماء من الآيات القرآنية التي أشارت إلى علامات الساعة: فمنهم من أثبتها، ومنهم من تأولها، ورد الأحاديث الشاهدة لها على أنها أخبار آحاد لا تقوم بها العقائد<sup>3</sup>. فمن خلال الرجوع للآيات المتعلقة بعلامات الساعة نجد أن النابلسي لا يتطرق لها بتفسيره العلمي، وعدم ربطها بأي من النظريات والحقائق العلميّة، إلا أنه تجاوز حدود النص وخاض في موضع فريد في التفسير العلميّ لإحدى الآيات التي تُشير إلى علامات الساعة، مع تصريحه بكونها من علامات الساعة، وفسّر الآية بشكل بعيد عن النص ومُخالف لما أكد أنه لن يخوض فيه في تفسيره، وذلك في تفسيره للدُّخان في سورة الدُّخان<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 156/8-155/8.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 16/2.

<sup>3</sup> ينظر، ابن كثير، إسماعيل بن كثير، ت: 1373م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد، ط2، 1420هـ، دار طيبة، 315/7-316.

<sup>4</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 386/8.

## المطلب الثاني: نماذج تطبيقية للتفسير بالحقائق العلمية

التعامل مع الحقائق العلمية والتفريق بينها وبين النظريات مهم جداً لمعرفة منهج المُفسّر، وتمكنه من التفسير بشكل سليم، على عكس التفسير بأي نظرية متداعية وبعد سقوط النظرية نضع القرآن الكريم في خانة التناقض بسبب التفسير الخاطئ لا بسبب القرآن الكريم الثابت منذ الأزل كونه من الله تعالى، فالنابلسي نوه كثيراً في تفسيره إلى الفرق بين الحقائق العلمية والنظريات، واعتماده على الحقائق الثابتة فقط، فكان هناك توافق كبير في تطبيقه للتفسير العلمي في الآيات العلمية كما في النماذج الآتية:

1. اعتماد النابلسي على الحقيقة العلمية الثابتة في تفسيره العلمي: ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاجِينَ أُنثِيًّا يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرَّعد: 3]. يتعرض النابلسي لحقيقتين علميتين: الحقيقة الأولى المعروفة

عن الأرض أنها كروية الشكل، فليس في الأشكال الهندسة شكل فيه الخطوط السطحية ممتدة لا تنقطع إلا شكل واحد؛ وهو الشكل الكروي؛ أي ليس للأرض حروف، على عكس المكعب، والهرم، ومتوازي المستطيلات فلها حروف، فهذه الآية تدل على أن الأرض كرة، فلو أمسكنا قلماً من الرصاص، ثم حُطَّ على كرة خطٌ تجد أن الخط لا ينقطع أبداً، ومن رحمة الله تعالى بنا بأن جعل الأرض كرة كبيرة. فالأرض أمامك ممتدة؛ ليسهل عليك زرعها، والسكنى فيها، لذلك حكما الله عز وجل جعلت الأرض كروية، وممتدة منبسطة، وجعلها مُتصلة، فكيفما سرت؛ تعود إلى نقطة البدء، ثم تحدث النابلسي في تفسيره للآية نفسها عن حقيقة علمية ثانية: وهي حقيقة دوران الأرض، فتحدث عن الجبال وعلاقتها بحقيقة دوران الأرض، فلولا الجبال لاضطربت الأرض في دورانها، فتجعل الجبال دورانها مُستقراً، لأن الدوران يُسبب حركةً في طبقات الأرض، وكل طبقة لها قوامها وكثافتها،

فإذا اختلفت كثافات الطبقات تحركت حركات مُتباينة، فاضطربت الأرض، فالجبال كالأوتاد تُتَبَت، هذه الطبقات ببعضها ببعض<sup>1</sup>.

وكذلك تحدث النابلسي عن حقيقة الجاذبية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرَّعْد: 2]. وكذلك في وصفه لمراحل نمو الجنين الذي يتوافق مع حقائق العلم<sup>2</sup>. وتنوع الحياة على سطح الأرض بالكائنات الحية بخصائصها الفريدة والاحتياجات للغذاء والمأوى بما يتوافق مع حقائق العلم<sup>3</sup>. وحديثه عن الثروات في باطن الأرض في تفسيره لبيدات سورة طه<sup>4</sup>. وحديثه عن حقائق الماء بما يتوافق مع حقائق العلم في تفسيره لسورة الأنبياء<sup>5</sup>.

2. الرد على النظريات العلمية المخالفة لآيات القرآن الكريم: كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]. يرد النابلسي في تفسيره لهذه الآية على نظرية (دارون)؛ فيفسر معنى "خَلَقَ": خلق مخلوقاً من كان معدوماً، والإنسان لجهله تصور بداية العالم بالكائنات الحية التي بدأت بمخلوق وحيد الخلية، ثم تطور هذا المخلوق من البر إلى البحر، ثم إلى البر مرة أخرى، ثم أصبح قرداً، ثم أصبح إنساناً، وهذه نظرية (دارون)، وكل جهة تتصور بداية العالم تصوراً مختلفاً، لكن الله - عز و جل - ينفى كل هذه التصورات بقوله: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: 51]. فخلق مخلوقات كانت معدومة، وبرأها على غير مثال سابق، وهذا هو الخلق، فالله تعالى خلق السماوات

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 555/4-556.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 21/6.

<sup>3</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 399/4.

<sup>4</sup> المصدر السابق: 401/5.

<sup>5</sup> المصدر السابق، 483/5.

والأرض؛ كان الله ولم يكن معه شيء، فخلقها بعد أن كان الكون معدوماً، وعلى غير مثال سابق، لكن الإنسان إذا سميناه مجازاً خالقاً؛ فإنه صنع شيئاً من كل شيء، وعلى مثال سابق، فمثلاً الطائرة تقليد للطير، وما من شيء اخترعه الإنسان إلا وهو على مثال سابق<sup>1</sup>.

نموذج آخر للرد على النظريات العلمية المخالفة للقرآن الكريم: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30].

يوضح أن الآية أحياناً تُعبّر عن نظرية لم يتم تحقيقها، كونها لم تُصبح حقيقة علمية، فالنظرية شيء، والحقيقة شيء آخر، ولا يمكن أن تتناقض حقائق الدين مع حقائق العلم؛ فالعلم من قوانين الله تعالى، والدين كذلك من عند الله تعالى، والتناقض لا يحدث إلا بين النظريات التي لم تثبت صحتها وحقيقة في القرآن، فهناك نظرية تزعم أن منشأ الأجرام السماوية أو منشأ الكواكب السيّارة هو دوران كتلة الشمس الشديد حول ذاتها، فبحكم القوة الكبيرة انفلتت منها بعض الكواكب، ثم تبرّدت، فكانت الأرض، فإذا كانت المجموعة الشمسية والشمس جميعاً كتلة واحدة؛ ينبغي أن تكون من طبيعة واحدة، ولكن لما صعد الإنسان إلى القمر، وجاء ببعض ترابه، ووجد أن هناك فرقاً في النوع بين تراب القمر، وتراب الأرض، فهذه العينات من تراب القمر لم تؤكد تلك النظرية فالآية تُشير في أرجح تفسيراتها إلى أن السماوات والأرض كانتا رتقاً؛ أي شيئاً متجانساً، فالأرض لا تنبت، والسماوات لا تُمطر، ففتق الله سبحانه وتعالى السماء عن المطر، فنزل منها المطر، وفتق الأرض عن النبات، فخرج منها النباتات<sup>2</sup>. وهذا التفسير غير مُسلم به، وكذلك في تفسيره لسورة النحل وحديثه عن الطير والنظريات التي وضعها العلماء وباءت بالإخفاق<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر، المصدر السابق، 528/3-530.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 481/5-482.

<sup>3</sup> المصدر السابق: 155 / 5.

3. عدم التعرض للمبهمات في التفسير العلمي: ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [الْمُدَّثِّر: 30].

لم يتعرض النابلسي للتفسير العلمي في تحديد العدد بتسعة عشر وهو من المبهمات، بل اكتفى

بقوله: "هناك أشياء تتحدى عقول البشر، فإله -عز وجل- أراد أن يُبين أنه لا بدّ من أن تؤمن به قبل

أن تقرّ كلامه؛ ليكون إيمانك بالله عميقاً... فهناك حكمة بالغة من هذا العدد، لماذا ليسوا بعشرين؟

ولمّ لم يجعلهم مئة؟ أو خمسة؟ دارت هناك مناقشة، فهل تُناقش خالق الكون؟ أحياناً يتلقّى الإنسان

أمراً إلهياً ولا يفهم حكمته، فيستسلم لحكمةٍ يصدّقها ولا يراها؛ لأنه يعلم أن الله الذي خلق السماوات

والأرض لا شك في حكمته، فأحياناً لا تفهم الحكمة من حكم شرعي... المؤمن عند علم يقيني أنّ الله

-عزّ وجلّ- حكيم، فيستسلم لحكمته، فيزداد إيماناً، ويوقن أن الله تعالى سيكرمه بكشف الحكمة،

فيكون قد جمع بين الحسنيين؛ العبادة بالاستسلام، ومعرفة الحكمة، وكل إنسان ينفاد لأمر الله

استسلاماً له يكافئه الله تعالى بكشف الحكمة، فيزداد إيماناً فيكسب مرتبة العابدين ومرتبة العلماء<sup>1</sup>.

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكَهْف: 83].

يقول: إن هذا القرآن كتاب هداية وإرشاد، فالأحداث التاريخية ليست معنيّة في هذه القصة... فذو القرنين

ملك استطاع أن يجوب أقطار الأرض، فيصل إلى مغرب الأرض ومشرقها؛ والحقيقة أنه لا يعنينا من هو،

ولكن تعنينا صفاته، وأمّا الخوض في معرفة من هو؟ وفي أي عصر ولد؟ وأي ملك كان؟ وأي بلاد فتح؟

ومثل هذه الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن؛ فلا مسوغ لها؛ لأن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد إلى رب

العالمين<sup>2</sup>.

وكذلك في تفسيره للحروف المقطعة في سورة البقرة قال: "وهناك من قال: الله أعلم بمرادها، وهذا القول

مقبول؛ لأنه يستحيل على المخلوق المحدود أن يحيط بالخالق"<sup>3</sup>. وكذلك في تفسيره لسورة الأعراف<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 167/10.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 341-342/5.

<sup>3</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 51/1.

<sup>4</sup> المصدر السابق، 624/3.

4. عدم تعرض النابلسي لآيات العقيدة الإسلامية في تفسيره العلمي: كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50]. فيفسر الآية في عدة صفحات دون أن يتطرق إلى التفسير العلمي، بل ويصرح بقوله: "ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: ﴿إِنَّا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾؛ أي فلا تطالبوني بما لا أستطيع، فأنا بشر، وأنا مبلغ، وأنا مُبَشِّر، وأنا مُنذِر وضعيف، وإنما أتبع ما يوحى إلي فقط، فهناك ثلاث لو كتبت على ظفر لوسعهن، وفيهن خير الدنيا والآخرة: اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع، اتزع لا تتسع؛ أي لا تُسرف، وأنفق باعتدال، وقد يقول لك المتقف الآن: أنا لا أرى صلاحية الحكم الشرعي لهذا الزمان؛ لأنه يرى نفسه محور العالم، وعقله هو الحكم، فمن أنت؟ أنت بشر ضعيف، وهناك خالق عظيم أنزل هذا القرآن على نبيه الكريم"<sup>1</sup>.

وفي تفسيره لسورة القيامة عند قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: 22-23]. يتساءل النابلسي: فما الذي فوق الجنة؟ إنه النظر إلى وجه الله الكريم... فهذه النظرة خير من جنات تجري من تحتها الأنهار، وخير من حور عين، وخير من ولدانٍ مُخَلَّدِينَ، وخير من كل شيء تشتهيبه الأنفس وتلذذ به الأعين، وهو أعظم مراد الله في الجنة، وهناك أحاديث في الصحيحين تُثبت ذلك، فعن جرير قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، قَالَ: "إِنكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ إِلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ فافعلوا"<sup>2</sup> ففوق أوصاف الجنة كلها هناك نظر إلى وجه الله الكريم<sup>3</sup>. فلم

<sup>1</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 233/3.

<sup>2</sup> البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ق، حديث رقم: (4570)، 4/ 1836، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، حديث رقم: (366)، 439/1.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 185/10-186.

يتعرض النابلسي لتفسير الآية بشكل علمي، بل واستشهد بأحاديث نبوية في تفسيرها. وكذلك في تفسيره لبدایات سورة طه<sup>1</sup>.

5. عدم تعرضه لتفسير علامات الساعة في القرآن: كما في تفسيره لسورة النمل عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82]. فيكتفي النابلسي بالإشارة إلى ما ورد فيها من أحاديث صحيحة وأقوال؛ كونها من علامات قيام الساعة، دون التطرق لأي تفسير علمي. وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَّ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزحرف: 61]. فيكتفي النابلسي بتفسيرها بآيات قرآنية، وذكر الأقوال في تفسيرها دون التطرق إلى التفسير العلمي، فيقول: "في هذه الآية أقوال كثيرة؛ منها: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَنْبِئُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، أَوْ أَنَّ مَجِيءَ سَيِّدِنَا عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي آخِرِ الزَّمَانِ مُشْعِرٌ بِاقْتِرَابِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَمِتْ بَعْدَ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ مَوْطِئِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 55]. فسيدنا عيسى ما مات الموت الأبدي عن طريق ملك الموت، ﴿لَنْ رَّعَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158]<sup>2</sup>.

نموذج فريد لتفسير النابلسي العلمي لعلامات الساعة وبشكل بعيد عن النص:

نجد النابلسي في موضع فريد يتجاوز حدود النص، ويناقض ما ذكره، فيخوض في تفسير علامات الساعة بتفسير علمي غير مناسب للآية، والتي أكد في أكثر من موضع في كتابه أنه لن يخوض فيها، وهذا ظاهر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: 10]. فيعبر عن الدخان بضعف البصر والغشاوة على العين من شدة الجوع لكونه يتوافق مع العلم، مع علمه وتصريحه بكون الآية من علامات الساعة كما يُعبر النابلسي: "فسنوات القحط والمجاعة تجعل أمام العين غشاوة، وهذا ثابت

<sup>1</sup> المصدر السابق، 5/ 401.

<sup>2</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 363/8.

علمياً، فشدّة الجوع تُضعِفُ البصر، وإذا شحت السماء بالأمطار، وعمّت سنوات الجفاف؛ أصبح الجو مغبراً وكأنّ فيه دخاناً؛ من قحط السماء، ومن جفاف الأرض، وكلّم يري كيف أن أول مطرة تأتي في أيلول تجعل الجو نقياً، بعد أن كان مغبراً بآخر الخريف، فإذا جاءت الأمطار أصبح الجو نقياً، والأشياء متألّقة، فرينا -عز و جل- كنى عن جفاف السماء وقحط الأرض وانعدام الرزق بالدخان، وعبر عن الغشاوة التي تكون على العين من شدة الجوع بالدخان، فأى قحط من السماء وأي فقر شديد يلحق بالعباد هو بمنزلة دخان من السماء... ويمكن القول إن الدخان المذكور في الآية هو من أشرط الساعة؛ كما جاء في الأحاديث الصحيحة<sup>1</sup>. فكان الأولى أن يتوقف النابلسي عند هذه الآية ويمتنع عن الخوض في تفسير علامات الساعة كما اشترط على نفسه.

وختاماً لهذا الفصل المركزي في هذا البحث نجد أن معالم منهج النابلسي رصينة، فتفسيره يحوي العديد من الأمثلة على التفسيرات العلميّة التي تعتمد على معاني اللغة العربيّة، وتبحره الكبير في الدلالات ومعاني اللغة والنحو والصرف، واعتماده على المناهج المُعتبرة في التفسير العلميّ بالاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن والأحاديث النبوية والآثار وأقوال الصحابة والعلماء، ويزخر تفسيره بالحقائق العلميّة وربطها مع الآيات القرآنية بشكل سليم تتعاضم فيه ثقة المسلم بربه، ويبين معجزة القرآن الخالدة بإشارته إلى الحقائق العلميّة قبل ملايين السنين، وقبل أن يُكتشف العلم وأدواته، فالنابلسي لا يترك موضعاً يستطيع أن يربطه مع حقيقة علميّة إلا وفعل ذلك بشكل مُذهل، لكنه يتوسّع في ذلك ويُسهب لغزارة معلوماته العلميّة، أو يخوض في أحد المُبهمات كعلامات الساعة، لكنه نادر جداً.

<sup>1</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 386/8.

## الفصل الثالث

### الإيجابيات والماخذ على التفسير العلمي للناقلي

#### المبحث الأول: الإيجابيات في التفسير العلمي للناقلي

##### المطلب الأول: موافقة التفسير العلمي لمعاني اللغة العربية

تفسير الناقلي زاخر بالمعلومات العلمية، واللفقات الجميلة، قريب من القارئ، سهل الفهم، يستمتع القارئ بمطالعة الكتاب وكأنه في قصة مثوقة تشد القارئ إلى نهايتها، فتجد نفسك أسيراً بين دفتي الكتاب كي تنهي قراءته، فالتفسير يحوي العديد من المميزات والإيجابيات التي تستحق الوقوف عندها طويلاً، ومن هذه الإيجابيات:

##### 1. موافقة التفسير العلمي لمعاني اللغة العربية:

فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشُّعْرَاءُ: 192-195﴾. والإمام بلغة القرآن يُعد ركيزة أساسية في فهم كلام الله وتفسيره كما يُعبر ابن خلدون في مقدمته<sup>1</sup>. لكن نزول القرآن بلغة العرب لا يُحتم على العرب كلهم أن يفهموه في مفرداته وتراكيبه بالدرجة نفسها كما يقول الذهبي: "ولو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن الكريم، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، وعدم تساويهم في معرفة المعاني التي وُضعت لها المفردات، ولا ضير في هذا فإن اللغة لا يُحيط بها إلا معصوم... فقد كان الصحابة يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم واسع الاطلاع فيها مُلمّاً بغريبها، ومنهم دون ذلك... كما

<sup>1</sup> ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الشرقية، 1327هـ، ملكية عامة قديمة، ص489.

أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية ومواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً<sup>1</sup>. وهناك العديد من الأمثلة تم ذكرها سابقاً.

## 2. كثرة الشواهد الشعرية:

فالنابلسي مُتمكّن في اللغة العربيّة، ولديه العديد من المؤلفات التي تم الإشارة إليها سابقاً في هذا المجال<sup>2</sup>، وقد صرح في مقدمة تفسيره عن بذله جهوداً كبيرة في مراجعته لأمات الكتب، وتفسيره للآية القرآنية تفسيراً لفظياً، ثم جمعه للآيات التي تعين على فهم الآية وتخدم الموضوع نفسه<sup>3</sup>، فنجد النابلسي لا يترك فرصة فيها تجليات للغة العربيّة إلا ويقف عندها طويلاً، فاللغة العربيّة الركيزة الأساسية في تفسيره العلمي، بل ويُكثر من الاستشهاد بالشعر العربي لبيان المعاني العلميّة ودقتها والشعر العربي يُعتبر من الشواهد والحجج في اللغة والمعاني<sup>4</sup>، فمثلاً في تفسيره العلمي لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرّوم: 24]. نجد النابلسي يُسهب في حديثه عن التفسير العلمي لظاهرة البرق وربطها بالكهرباء الساكنة، والشحنات السالبة والموجبة، ولكن البرق ينشأ من تفريغ شحنات كهربائية ساكنة في السحب، ثم يحدث تصادم بين تلك الكتل فيحدث الرعد، فلا رعد بلا برق، ولا برق بلا رعد، فالإنسان يخاف من البرق إذا كان صاعقة، ويرجوه إذا كان منه سحاب مُمطر، ثم يتطرق لمصطلح "البرق الخُلب"<sup>5</sup>، مستشهداً بثلاثة أبيات شعرية تؤكد المعنى:

حُرٌّ ومذهب كل حرّ مذهبي	ماكنت بالغاوي ولا المتعصب
يابى فوادي أن يميل إلى الأذى	حبّ الأذى من طباع العقرب
لي أن أردّ مساءةً بمساءة	لو أنني أرضى ببرقِ خُلب <sup>6</sup>

<sup>1</sup> الذهبي، التفسير والمفسرون، 1/26-27.

<sup>2</sup> الفصل الأول من الرسالة، صفحة 8.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 1/13-15.

<sup>4</sup> ينظر، حاج، الشاهد الشعري وتوظيفه في تفسير مفردات القرآن الكريم (المحرر الوجيز) لابن عطية أنموذجاً، 421-440.

<sup>5</sup> برق الخلب: الذي لا غيث فيه، وهو البرق الذي لا يمطر، ابن منظور، لسان العرب، 1/282.

<sup>6</sup> ثابت، محمد ثابت، شاعر الليل والكأس: أروع ما كتب إيليا أبو ماضي، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م، ص 60.

ثم يُفسّر الأبيات الشعرية بأن الشاعر لا يرضى بالمخادعة والإساءة؛ كما لا يرضى بالبرق الذي لا مطر في صحابه، ويبين معنى الحقد في اللغة: "وهو انحباس المطر؛ بأن تكون السماء كلها غيوماً لا مطر فيها"<sup>1</sup>. فهذا مثال من بين مئات الأمثلة التي يزخر بها كتاب النابلسي في تفسيره العلمي، فالباحث وجد في تفسير النابلسي بأجزائه العشرة ما يزيد على الألف بيت شعري استشهد به النابلسي ما بين التفسير العلمي وغيره، وهذا بحد ذاته يبين لنا سعة اطلاع النابلسي وقوته في اللغة العربيّة التي ينبثق منها إلى تفسيره العلمي.

### 3. إمام النابلسي باللغة العربيّة بشكل كبير:

نجد في تفسير النابلسي إسهابه الكبير ووقوفه طويلاً عند حديثه عن اللغة العربيّة، فمثلاً في تفسيره لبداية سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:2]. نجد النابلسي يتحدث عن اللغة العربيّة كونها أوسع لغة في العالم، وخصائص هذه اللغة، والاشتقاقات، والأفعال الماضي والمضارع والأمر، ويصل إلى الحديث عن علم أصوات اللغة، وظواهر كثيرة أهمها مناسبة الحروف لمعاني اللغة العربيّة، وأنها اللغة الوحيدة التي تتفرد بها، فمثلاً كلمة وسوسة، زقزقة، فلو لم تعرف معناها؛ لتكفلت أصوات هذه الكلمة تشعرك بمدلولها، وينتقل إلى الحديث عن الترادف، والمشارك اللفظي، والإعراب، والحركات بأنواعها كافة ومدلولاتها، وأدوات اللغة التي تحمل معاني عدة، ثم يُطالب المسلمين أن يخصصوا وقتاً لتعلم اللغة العربيّة، ففهم كتاب الله تعالى يحتاج إلى تعلم اللغة العربيّة، ومعرفة الكلام وأنواع الكلام، وماذا تعني العبارات؟ ولم هذه الكلمة منصوبة؟ ولم تلك مجرورة؟ ولكون سورة يوسف تتضمن الأسلوب القصصي؛ يقف النابلسي ملياً للحديث عن القصة كونها من أبرز أساليب اللغة العربيّة، فيتحدث عن خصائص القصة مستشهداً بأبيات شعرية، فالقصة أكبر فنون الأدب وأوسعها انتشاراً، ولها مقومات فنية دقيقة، وهناك مجلدات تدرس فن القصة، وقصة سيدنا يوسف فيها كل المقومات الفنية للقصة

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 115/7-116. وابن سيده، علي بن اسماعيل، كتاب المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية، 1898، ص124.

الحديث من دون إخلال بالغرض الديني، بل إن خصائصها الفنية في خدمة الغرض الديني<sup>1</sup>. وكذلك في تفسيره لبدائيات سورة الزخرف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الرَّحُف: 3]. نجد النابلسي يتكلم عن اللغة العربية بتفاصيل دقيقة وكثيرة تبين مدى العلم الذي يتمتع به النابلسي في اللغة العربية<sup>2</sup>.

4. التفسير العلمي وفق معاني اللغة العربية والافادة من كل مدلولاتها:

لا يكتفي النابلسي في تفسيره العلمي باللغة العربية؛ بل يجمع بين الإعجاز اللغوي والتفسير العلمي كما في تفسيره لبدائية سورة الروم<sup>3</sup>، وكذلك يُكثر من ضرب الأمثلة، وذكر أقوال علماء اللغة العربية والترجيح بينها كتفسيره لآيات سورة المُلْك<sup>4</sup>، وكذلك استفادته من أساليب اللغة العربية في التفسير العلمي، فمثلا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النَّحْل: 69]. فعند كلمة ﴿فِيهِ شِفَاءٌ﴾ يبين أنها نكرة والنكرة لا تعني الشمول هنا، بل تعني أن هناك أمراضاً كثيرة جداً يُعد العسل علاجاً لها، ولو أن الله -سبحانه وتعالى- قال: فيه الشفاء للناس؛ لكان المعنى أن أي مرض علاجه العسل، وهذا كلام غير علمي<sup>5</sup>. وكذلك في خضم تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: 11]. فيقف النابلسي عند حرف العطف "ثُمَّ" ويتساءل: هذا الحرف للترتيب الزمني أم للترتيب الذكري؟ كلا الرأيين وارد، ومع كل رأي منهما أدلته، فقد تكون الأرض هي التي بدأ الله بها في الخلق، على أن "ثُمَّ" للترتيب الزمني، وقد تكون الأرض والسموات خُلقتا معاً، على أن "ثُمَّ" للترتيب الذكري، وكلا المعنيين وارد<sup>6</sup>. فنجد اللغة العربية حاضرة دوماً في كل آية

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 4/ 483-492.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 335/8.

<sup>3</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 86/7.

<sup>4</sup> المصدر السابق، 7/10.

<sup>5</sup> ينظر، المصدر السابق، 144-143/5.

<sup>6</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 214/8.

يُفسرها النابلسي بشكل كبير، وهذا ينم عن علمه الواسع بها، ويجعل منها ميزة يُشار إليها بالبنان في تفسيره العلمي.

##### 5. ضرب الأمثلة وذكر القصص التي تقرب المفهوم:

وهذا أسلوب من أساليب اللغة العربيّة والقرآن الكريم، فضرب الأمثال يُقرب الصورة، ويسرّ الفهم، ولقد تعرض النابلسي للأمثلة العلميّة والقصص التي توضح المعاني العلميّة بشكل لم يُسبق إليه، ففي كثير من المواضع يُحاول أن يُقرب الصورة، ويُبسّط المفهوم بعرض قصة من القصص سواء كانت من واقع الناس، أو من الماضي والتاريخ، ويبين النابلسي في مُقدمته عنايته بالقصص والمثل عناية فائقة بقوله: "ومما اعتنيت به في هذا التفسير: ذكر القصص الواقعية سواء من التاريخ أو من الواقع المعاصر، وكذلك الاستعانة بالمثل في توضيح معاني الآيات القرآنية، ذلك أن القصة حقيقة مع البرهان عليها والمثل يُرسخ المعنى ويثبته، وينقله من فكرة مجردة إلى صورة مزيّنة، ولا يخفى أنّ ذكر القصص وضرب الأمثال أسلوبان قرآنيان جليّان في كتاب الله<sup>1</sup>، ومن الشواهد على ضرب الأمثال والقصص: عند تفسيره لبداية سورة الفاتحة يضرب النابلسي العديد من الأمثلة العلميّة ويقف طويلاً في سردها وتوضيحها والتي تكون ضمن إطار حمد الله تعالى، كمثال ذبح البقرة والتسمية عليها، وأجهزة جسم الإنسان المُعقدة بكونها آية من آيات الله التي تحتاج إلى الشكر والحمد لله تعالى<sup>2</sup>. وكذلك عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29]. يتحدث النابلسي عن التفسير العلميّ للآية وإبداع الخالق في خلق الإنسان، ثم يتحدث عن الروح وتفسيراتها، وأنّ الإنسان بلا روح يُعد جُثة هامدة، ثم قصّ خبراً يدل على ذلك ليقرب به المعنى فقال: "حدثني أخ من بيروت أيام الحوادث والحروب؛ أن شخصاً توفي في بيته، والطرقات كلها مقطوعة، والقنص على أشده، فتحمله أهله يومين، ثم ألقوه من الشرفة إلى الأرض،

<sup>1</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي 15/1.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 36-17/1.

ذاك أب كان يملأ البيت أنساً وسعادة، فماذا فعل أقرب الناس إليه زوجته وأولاده لما سحبت الروح منه؟  
قرروا أن يلقوه من الطابق الرابع؛ لأن الطرق مقطوعة، ولم يتحملوا رائحته بعد الموت"<sup>1</sup>.

6. اللغة العربية حاضرة في كل آية دون إفراط أو تفريط:

لا تكاد صحيفة من صحائف تفسير النابلسي تخلو من لغات لغوية يُدرك بها أن لكل حرف من حروف الآيات معنى ومغزى، بل حتى المُكررات في القرآن الكريم عبر عنها في مقدمته بكونها "الأغراض بلاغية"<sup>2</sup>. فالنابلسي من طلاب اللغة العربية، إذ حصل على (ليسانس) في آداب اللغة العربية وعلومها، ولديه مؤلفات عديدة في مجال اللغة العربية<sup>3</sup>. وتجد شغفه في تفسيره أيضاً بهذه اللغة وتفسيره بما يتوافق معها، مما يزيد في قوة تفسيره العلمي ويجعل منه ميزة كالقمر على سائر الأجرام السماوية.

**المطلب الثاني: التفسير بالمأثور والتنقل بين المناهج.**

ما هو التفسير المأثور؟

يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول - صلى الله عليه وسلم- وما نُقل عن الصحابة -رضوان الله عليهم-، وما نُقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله -سبحانه وتعالى- من نصوص كتابه الكريم<sup>4</sup>.

**المسألة الأولى: المنهج العام في تفسير النابلسي:**

تحدث النابلسي عن آيات القرآن الكريم بشكل كامل بدءاً من سورة الفاتحة، وانتهاء بسورة الناس، افتتح الحديث عن بعض السور بمقدمة تناول فيها اسم السورة، والأحاديث التي جاءت في فضلها، وأحياناً

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 29/.

<sup>2</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 14/1.

<sup>3</sup> موقع الدكتور محمد راتب النابلسي الرسمي: <https://web.archive.org/web/20180922190705/http://nabulsi.com:80/blue/ar/biography.php>

<sup>4</sup> الذهبي، التفسير والمفسرون، 105/1.

يعرض صورة عامة عما تحتويه السورة. ويتعامل مع الآيات القرآنية على أنها منهج حياة<sup>1</sup>، وعند الحديث عن السورة يبين أنها مكية أو مدنية؛ لأنه يرى أن الآيات المكية هي التي نزلت أولاً، وتتضمن التعريف بالله واليوم الآخر، والآيات التي نزلت في المدينة تتضمن في مجملها التشريع<sup>2</sup>. وللآيات العلمية مكانة كبرى في تفسيره، فهو يعتني بالآيات التي تتحدث عن خلق الانسان والكون والتي تزيد في نظره على ألف وثلاثمئة آية وتفسيرها تفسيراً علمياً انطلاقاً من أن التفكّر أوسع باب وأقصر طريق نصل من خلاله إلى الله تعالى<sup>3</sup>.

المسألة الثانية: تفسير الآيات من الناحية العملية عند النابلسي:

أما تفسير الآيات من ناحية عملية فإنه يعرض الآية القرآنية، ثم يفسرها تفسيراً لفظياً، ثم يجمع الآيات التي تعين على فهم الآية، أو تخدم الموضوع نفسه، وكثيراً ما يستدل بأحاديث نبوية تعين على فهم النص، أو نقولات عن الصحابة، أو التابعين. يعتمد في أكثرها على أمات كتب التفسير من القدماء فيأخذ عن الرازي، والقرطبي، وابن كثير، الطبري... ويستعين بكتب المعاصرين أحياناً لفهم بعض القضايا، كالشعراوي وسيد قطب<sup>4</sup>، ولا يتوسع في تناول أسباب النزول، والخلافات المذهبية سواء الفقهاء، أو العقديّة إلا بما يعين على فهم النص، فالكتاب يخلو من المماحكات اللفظية، والجدال الكلامي. ويكثر من ضرب الأمثلة التي تعين على فهم الآية. وتفسيره يخاطب العقل، والقلب، والروح، فيظهر تأثير أسلوبه الوعظي على ألفاظه وعباراته، ويظهر جلياً أيضاً مخاطبته للفكر والعقل من خلال طرحه للأمور العلميّة.

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 15/1.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 13/1.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 15-13/1.

<sup>4</sup> ينظر، المصدر السابق، 13/1.

فيبدو للقارئ من النظرة الأولى في التفسير أن صاحبه لم يعتن كثيراً بالتحليل اللفظي للآيات كما في كتب السابقين، لكن المتأمل يجد أنه لم يغفل ذلك مطلقاً، فلا تكاد تجد آية من الآيات تخلو من البيان والتوضيح اعتماداً على أمات كتب التفسير<sup>1</sup>.

المسألة الثالثة: التنقل بين المناهج العلمية في التفسير العلمي عند النابلسي:

لم يخرج النابلسي في تفسيره العلمي عن المنهج العام في التفسير، لكنه كان ينتقل بين المناهج ضمن إطار التفسير بالمأثور في أغلب الأحيان، ففي تفسيره للآية يبحث أولاً عن الآيات التي تدعم وتفسر الآية ويستشهد بها ويُفسرها، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]. فيستشهد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُشِّئَ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزحرف: 60] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169]. فهذه الآيات توضح معنى كلمة (ال خليفة) وهو أن الله - عز وجل - شاءت حكمته أن يأتي الناس إلى الدنيا تبعاً، وأن يغادروها تبعاً؛ ليتعظ بعضهم ببعض، ثم ينتقل إلى الحديث العلمي عن كون الإنسان يتفرد بصفات تختلف عن أي إنسان آخر، كال بصمات وقزحية العين وبلازما الدم ونبذة الصوت، ويُسهب في حديثه مُستشهداً بالعديد من الآيات القرآنية<sup>2</sup>. وعند تعذر وجود آيات تدعم قوله وتفسيره للآية يستعين بالأحاديث النبوية ثم يُفسرها، أو قد يجمع بين الأحاديث والآيات القرآنية في تفسيره لبعض الآيات كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا يَلْبَسُ لِبَنِينَ﴾ [النحل: 66].<sup>3</sup> وإن تعذر وجود آيات وأحاديث يلجأ النابلسي إلى أقوال الصحابة والتابعين والعلماء لتكون دليلاً على قوله ليدلي بدلوه في تفسيره للآية.

<sup>1</sup> زهران، زهران عمر زهران، منهج النابلسي في تفسيره تدبر آيات الله في النفس، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، 2021م، مج 17، ع4، الصفحات 9-30.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 160-155/1.

<sup>3</sup> المصدر السابق، 137/5.

## المسألة الرابعة: التفسير المباشر للآيات العلمية:

ضمن التنقل بين المناهج في كثير من الأحيان يُفسّر النابلسي الآيات تفسيراً علمياً مباشراً، فيباشر بعد وضع الآية المراد تفسيرها في حديثه عن التفسير العلمي وربطها بالحقائق والمكتشفات العلمية، ثم يسرد آية أو حديثاً نبوياً يدعم ذلك، وعند تعذر وجود آيات وأحاديث يكتفي بالتفسير العلمي، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَلُهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [التور: 40]. فيبدأ بحديثه العلمي عن الآية بقوله "المعروف أن في البحر أمواجاً سطحية على سطح البحر، ولم يكن أحد يعرف أن في البحر أمواجاً داخلية حتى عام 1900م. فالبحارة الإسكندنافيون عرفوا لأول مرة وهم يغوصون في أعماق البحر أن في البحر أمواجاً داخلية، ولما عُرضت هذه الآية على بعض علماء البحار؛ دهشوا، وصعقوا، كيف أن هذا الكتاب الذي جاء قبل 1400 عام يُشير إلى الأمواج الداخلية في البحر؟ الله - سبحانه وتعالى - بين في هذه الآية أن في البحار أمواجاً سطحية وأمواجاً داخلية، وكما أن الأمواج السطحية تدفع السابح إلى جهة ما؛ كذلك الأمواج العميقة"<sup>1</sup>، ثم يكمل حديثه المطول مستشهداً بقوله تعالى: ﴿فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]. فما هذه الظلمات؟ ظلمة البحر والليل وبطن الحوت، وربطها مع حياة الكافر البعيد عن الله تعالى، فهو يعيش في ظلمات ثلاث؛ فهو في قاع المحيط، وفوقه موج يعكس الأشعة، وفوق الموج موج، وفوق الموج سحاب<sup>2</sup>.

## المسألة الخامسة: التفسير العلمي عند النابلسي وفق أساسات ودعائم قوية:

فالنابلسي لم يضع نفسه في تفسيره العلمي وسط الآيات القرآنية يغرف مما يعرفه دون قواعد وأساسات، بل كانت لديه قواعد متينة ينطلق منها نحو تفسيره العلمي، يُلمّ بالآية وما ورد فيها من أسباب نزول وآيات

<sup>1</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 169/6. وينظر، عبد الله، علي محمد، البحار والمحيطات أسرار وكنوز في الأعماق، وكالة الصحافة العربية، 2013م، ص 60-65.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 170/6.

تُفسرها وأحاديث وأقوال، ثم يربطها بما يتوافق مع الحقائق العلميّة لتكون مُتكاملة بعيدة عن العشوائية، وهذا ما يُميز منهج النابلسيّ وتعمقه في القراءة والبحث عن المعلومات، فهو تفسير علمي لديه أساسات ودعائم قوية تناسب الآية، لكنه في بعض الأحيان، لافتقاره لوجود الآية أو الأحاديث، أو ربما لكون الآية واضحة وتحتوي إشارات علميّة كثيرة، فيفسّر النابلسيّ الآية بشكل مُباشر دون التطرق لأيّ دعائم من آيات وأحاديث وأقوال للصحابة والعلماء كما بينها الباحث في الفصل السابق.

### المطلب الثالث: ربط التفسير العلمي بالواقع والرد على الشبهات

المسألة الأولى: ربط التفسير العلمي بالواقع:

رغم أنّ النابلسيّ يُفسّر بالمأثور في أغلب الأحيان، ويعتمد عليه كأساسات قوية تُقوي تفسيره العلميّ، فإنه لا يُغفل الواقع الذي نعيشه، بل تدرك في التفسير مدى تعمق النابلسيّ في كل ما يحصل حوله من وقائع، فتجد التفسير زاخراً بالأمثلة العلميّة من واقعنا الذي نعيشه، فمعظم المكتشفات والحقائق العلميّة الحديثة لديه اطلاع عليها، ويشير إليها بأنها من أحدث ما وصل إليه العلم الحديث كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]. يُفسّر النابلسيّ هذه الآية بشكل علمي بما يُقارب عشر صفحات بمعدل ثلاثين سطراً لكل صفحة معظمها من واقعنا ومكتشفاته الحديثه عن ثروات الأرض، إذ يُعبر عن أحد المكتشفات بقوله: "من أحدث ما توصل إليه العلماء عن البترول"<sup>1</sup> كونه من ثروات الأرض، ثم يربطه بالرخام الذي تم استخدامه حديثاً في الحرم المكي والمدني، رُخام أبيض تدوسه عند الظهيرة، والحرارة قد تصل تحت أشعة الشمس إلى الثمانين، فتدوس على هذا الرخام فإذا هو بارد، فهو أحد أنواع الرُخام النادر في العالم، وكأن الله خلقه لذلك، فالحجاج والعُمّار يطوفون حُفاةً، ولا تزال الأرض تملك

<sup>1</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 117/1.

ثروات لا يعلمها إلا الله<sup>1</sup>،<sup>2</sup> وكذلك في تفسيره للسورة نفسها عند قوله تعالى: ﴿الْمَ ۙ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۙ﴾ [البقرة: 1-2]. يتعرض إلى علم الفلك في تفسيره لهذه الآية مُستشهداً بمحطة أخبار عالمية بقوله: "ولا يعرف معنى هذه الآية إلا من درس علم الفلك، فقد أذاعت محطة أخبار عالمية خبراً: أنه تم اكتشاف مجرة تبعد عنا ثلاث مئة ألف بليون سنة ضوئية..."<sup>3</sup>. فهذه بعض الدلائل البسيطة، وكتابه يحوي المئات من الأمثلة التي تستشف منها واقعية التفسير العلمي للنايلسي ومعاصرته.

المسألة الثانية: ربط التفسير بالواقع سمة غائبة عن كثير من كتب التفسير:

قلة هم المفسرون الذين ارتبطت أقلامهم بالواقع الذي يحيونه، لكن ربط التفسير بالواقع يظهر جليا واضحا في تفسير النايلسي، فبين في مقدمته لتفسيره عنايته الفائقة بالواقعية بقوله: "ومما اعتنيت به في هذا التفسير: الإسقاطات الواقعية، مجتهداً في إسقاط معاني الآيات القرآنية على واقع المسلمين اليوم، انطلاقاً من أن القرآن الكريم منهج حياة، وكون بعض الآيات القرآنية ترتبط بسبب نزول، أو حادثة معينة، لا يعني أبداً تقييدها بالسبب أو الحادثة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"<sup>4</sup>، والنماذج التي تشهد لذلك منتشرة انتشاراً كبيراً في تفسيره وتُميزه من غيره من كتب التفسير، فالكتاب مليء بالأمثلة والشواهد التي يستشهد بها من الواقع، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 29]. فيستشهد بجهاز الرادار الحديث ونظامه في تصوير المركبات المخالفة لأنظمة السير، فالصورة فيه شاهدة على الإنسان مهما حاول التنصل من مخالفة السير<sup>5</sup>، وكذلك في حديثه عن طبقة الأوزون في السماء، واستشهاده العلمي بمركبة فضائية أرسلت إلى المشتري منذ ست سنوات واكتشافها مجرة إلى جانب كوكب المشتري، وتبعد عن الأرض ثلاث مئة ألف بليون سنة ضوئية<sup>6</sup>. وكذلك

<sup>1</sup> ينظر، المصدر السابق، 119/1.

<sup>2</sup> موقع الحرمين الرسمي على الشبكة العنكبوتية: <https://gph.gov.sa/index.php/ar/component/k2/item/11338-40>

<sup>3</sup> النايلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النايلسي، 57/1.

<sup>4</sup> المصدر السابق، 15/1.

<sup>5</sup> ينظر، النايلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النايلسي، 423/8.

<sup>6</sup> ينظر، المصدر السابق، 151/9.

حديثه عن حرب غزة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التَّوْبَةُ:5]. "وليس أحداث غزة عنا ببعيد فمن هؤلاء الذين قتلوا؟ أمقاتلون؟ لا، أطفال في عمر الورود، ونساء ضعاف، ألف وخمس مئة طفل قتلوا بأحداث الأسلحة، وحينما اجتاحوا لبنان دمروا البنية التحتية من أجل أسير واحد فهذه الآية لمثل هؤلاء الذين يتشققون من دماء المسلمين، ولمثل هؤلاء الذين يريدون إبادة البشر"<sup>1</sup>.

المسألة الثالثة: مناسبة كتاب التفسير للواقع الذي نعيشه:

الناقلي يدرك الواقع جيداً، ويعرف فتور الأجيال وهمها المنخفضة في واقعنا الأليم الذي نعيشه، فهناك المئات من الأمور التي تُلهي الناس عن القراءة والمطالعة، يكفينا التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي كافة التي أخذت معظم وقتنا، فكان تفسيره عبارة عن عشرة مجلدات مُتقاربة في حجمها، بألفاظ سهلة، وأيضاً بسهولة ويُسر التعامل مع التفسير، وسهولة في الوصول إلى الآيات، فالسطر الأول في كل صفحة يحتوي على المُجلد، واسم السورة، ورقم الصفحة، وكل مجلد من المُجلدات العشرة يحتوي في آخره على فهرس كامل يُسهل الوصول لمُبغى القارئ، ويُسهل الوصول إلى باقي السور في القرآن الكريم، ويحذف المُكررات وخصوصاً العلميّة منها؛ كونها تحتاج إلى صحائف كثيرة في بعض الأحيان لشرحها وتوضيحها في الأجزاء كي لا يشعُر القارئ بالملل في مطالعته للتفسير، وكذلك إثراء كتابه بالقصص مما يجعله أكثر تشويقاً وجاذبية للقارئ.

المسألة الرابعة: الرد العلميّ على الشبهات:

لا يترك الناقلي في تفسيره بشكل عام وتفسيره العلميّ بشكل خاص شبهة حديثة كانت أو قديمة إلا تعرّض لها في كلامه بأسلوب لبق وشائق فيه الرحمة الكبيرة على أصحابها الذين يبتعدون عن شرع الله تعالى بشبهاتهم، بعيداً عن الفظاظة، يناسب قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا

<sup>1</sup> الناقلي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير الناقلي، 4/110.

أَلْقَبَ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿آلِ عِمْرَانَ: 159﴾. فيعرض النابلسي في الكثير من الآيات لبعض الشبهات التي يطرحها أعداء الإسلام للطعن في ديننا الحنيف، ويرد عليها بأسلوب سهل، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غَافِر: 57]. يرد النابلسي على شبهة إنكار البعث القديمة الحديثة، أي بعث الأجساد يوم القيامة للحساب على أفعالهم في الدنيا؛ فهذا إنكارٌ موهوم؛ لأن الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يعيد هذه الأجساد إلى ما كانت عليه، ثم يستشهد بالعديد من الأمثلة العلميّة التي تُقرم إنكار البعث أمام عظمة الخالق، فيوازن بين صنع الإنسان وصنع الله - عز وجل - فيضرب مثالا من واقعنا الحديث عن آلية عمل الكلية الاصطناعيّة بحجمها الكبير وساعاتها الطويلة في عملية الغسيل وتنظيف الدم من حمض البول، وأجورها الكبيرة؛ مقارنة بالكلية الطبيعيّة في الإنسان ومزاياها الكبيرة التي يسردها، ثم ينتقل إلى الحديث عن العين في جسم الإنسان ويُسهب في حديثه عن تلك النعم التي تدل على الخالق وتُرد على شبهة إنكار البعث بأسلوب علمي رصين<sup>1</sup>.

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 33]. يتطرق في تفسيره لهذه الآية إلى شبهات عديدة منها: الدين أفيون الشعوب، والدين غيبّيات، بقوله: "نحب نُحب الواقعية، ونريد أن نعالج مشكلات الواقع"<sup>2</sup>، ويبدأ بالحديث المُطول عن الإعجاز العلميّ وقدرة الله الواسعة، وعن الفضاء الذي لم يصل فيه الإنسان أبعد من القمر، وحتى في ترتيب الآية قدم الله تعالى الجن على الإنس كونه أقدر من الإنس على خرق السماوات والأرض، فمن أنت أيها الإنسان لتقول بهذه الشبهات البعيدة عن العلم والتفكير والعقلانية؟<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 174/8-176.

<sup>2</sup> النابلسي: النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 164/89.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي 164/9-165.

المسألة الخامسة: إبداع النابلسي في الرد على الشبهات:

مما تميز به تفسير النابلسي الرد على الشبهات في كل فرصة تسنح له سواء كانت برداً علمي في الآيات العلمية أو بردود منطقية في التفسير بشكل عام، وقد أبدع المُفسّر في طريقة العرض فلا يُطيل الحديث، وإنما يعرض الشبهة في حديثه عن التفسير، أو يستنتجها من مجموعة آيات مُعينة، ويرد عليها بأسلوب سهل ميسر بليغ فلا تأخذ حيزاً كبيراً من التفسير وتتماشى مع روح النص، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: 1]. فيرد النابلسي في تفسيره للآية على القرآنيين بقوله: "ألا نكتفي بالقرآن الكريم؟ إن الذي يكتفي بالقرآن الكريم ولا يعبأ بالسنة يخالف القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم يأمرك أن تأخذ ما أمرك به النبي \_ صلى الله عليه وسلم\_ وأن تنتهي عما نهاك عنه النبي ويكون لك أسوة حسنة"<sup>1</sup>.

المطلب الرابع: موافقة التفسير العلمي للحقائق العلمية

المسألة الأولى: النابلسي يعتمد على الحقائق العلمية في تفسيره:

بات العالم يُشبه قرية صغيرة في عالم التكنولوجيا الذي يُعج بوسائل التواصل الكبيرة، والمحطات الإعلامية والإخبارية التي تحمل الغث والسمين، وأصبح لزاماً على الإنسان أن يتأكد من كل معلومة تتسارع بالانتشار في لحظات في عصر الشائعات، وكذلك الحال عند المُفسّر لكتاب الله، فيجب أن يكون حريصاً لأنه يتعامل مع كتاب سماوي يحمل رسالة سامية، ونقاط القوة تكون دوماً بجانب المُفسّر الذي ينتبه جيداً إلى المصادر ممحصاً لها بالتأكد من مصادرها وحقيقتها كما فعل النابلسي في تفسيره، فقد كان جل اعتماده على الحقائق العلمية الثابتة دون اعتباره للنظريات المُتجددة، كما عبر عنها في تفسيره في عدة مواضع، وأكد أنه لن يحيد عن الحقائق العلمية، بل ورد على الكثير من النظريات العلمية في تفسيره، وفرّق بين الحقيقة العلمية والنظرية بقوله "لا يُمكن لحقائق الدين أن تتناقض مع حقائق العلم؛ لأن الدين

<sup>1</sup> المصدر السابق، 510/8.

من عند الله تعالى، ولأن العلم من قوانين الله، وإذا كان هناك تناقض؛ فبين نظرية لم تثبت صحتها وحقيقة في القرآن<sup>1</sup>. فالمتتبع لتفسير النابلسي يجد أنه وفى لقوله في تطبيقه العملي لتفسير الآيات العلمية، فنجدته يتحدث عن حقائق كثيرة في تفسيره منها: كروية الأرض، ودوران الأرض وعلاقة الجبال بذلك كونها تُثبَّت الأرض، فلولا الجبال؛ لاضطربت الأرض في دورانها، لأن الدوران يُسبب حركة في طبقات الأرض<sup>2</sup>، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾ [الأنبياء: 32]. فيتحدث عن طبقة الأوزون في طبقات الجو، والتي لا تزيد سماكتها على الميليمترات، وتمنع وصول الأشعة الضارة إلى الإنسان، فالأشعة الشمسية التي فوق هذه الطبقة تؤذيه، ولكنها بعد هذه الطبقة لا تؤذي الإنسان، فكان السماء سقف يحفظ الإنسان من أن يُمس بأي أذى<sup>3</sup>. والتفسير زاخر بتلك الحقائق العلمية وربطها بالآيات القرآنية بشكل دقيق وجميل، بعيد عن التعسف والتكلف.

#### المسألة الثانية: النظريات توقع الشك في عقائد المسلمين:

اعتماد النابلسي على الحقائق العلمية وبعده عن النظريات جعل تفسيره مقبولاً بين الناس، بل أصبح يُشار إليه بالبنان، ويُعرف بما يُميزه وهو التفسير العلمي، على عكس من يُحمل القرآن الكريم كل شيء، ويجعله مصدراً لجوامع الطب، ونظريات الهندسة، وقوانين الفيزياء، كونه يوقع الشك في عقائد المسلمين تجاه كتاب الله؛ ذلك لأن الكثير من العلوم وما تقوم عليه من نظريات لا قرار لها ولا بقاء، فزُب نظرية علمية قال بها عالم اليوم ثم رجع عنها، لأنه ظهر له خطؤها، وكَم بين نظريات العلم من تنافٍ وتضاد، فهل يُعقل أن يكون القرآن محتملاً لجميع هذه النظريات على ما بينها من التنافي والتضاد؟، فالقرآن الكريم تناول الحقائق العلمية في الكون ومشاهده، بدعوته إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض وفي أنفسنا، ولا يراد منه إلا توجيه عامة الناس وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله ودلائل

<sup>1</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 481/5.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 556-555/4.

<sup>3</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 484/5. وينظر، عبد الله، علي محمد، الأوزون ماهو ؟ لمحة تاريخية، صراع الإنسان مع البيئة، رؤية مستقبلية، المناهل للنشر والتوزيع، 2016م، ص40-50.

وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في اللب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة<sup>1</sup>، فالتكلف في ربط النظريات يُضعف التفسير العلمي، كتفسير طنطاوي جوهرى لقوله تعالى: قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: 5-6]. فنجده يُدخل عوالم السحاب والكهرباء وغيرها، وقوله: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ يُشير للمسلمين أن يحرصوا على دراستهم لعلوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى<sup>2</sup>، وكذلك في تفسيره لسورة الزلزلة مستعرضاً ما وقع من حوادث الزلازل في (إيطاليا)، وما وصل إليه العلم الحديث من استخراج الفحم والبتروك من الأرض، وما كثر في هذا الزمان من استخراج الدفائن من الأرض، مثل ما كُشف من آثار القدماء في مصر<sup>3</sup>.

#### المسألة الثالثة: الرد على النظريات المخالفة للقرآن الكريم:

لم يكتب النابلسي بالتمييز بين الحقائق والنظريات، واعتماده على الحقائق منها، بل تجد في تفسيره ردوداً علمية على الكثير من النظريات التي يعتقد أصحابها بصحتها ويتغنون بها لدرجة أنها تساوي عندهم الحقيقة، كرده على نظرية (داروين)، والنظرية التي تزعم أن منشأ الأجرام السماوية والكواكب هو دوران كتلة الشمس حول ذاتها، فبحكم القوة انفلتت منها بعض الكواكب، ثم تبردت، فكانت الأرض<sup>4</sup>، وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 79]. فيرد في تفسير الآية على العلماء الذي وضعوا نظريات كلها باءت بالإخفاق، فظنوا أن الطائر يهتدي بأشعة الشمس، فإذا به يهتدي ليلاً إلى هدفه، وظنوا أن الطائر يهتدي بتضاريس الأرض، فلما طار فوق البحر؛ اهتدى إلى هدفه، وظنوا أن الطائر يهتدي بشيء مغناطيسي...، وكلما

<sup>1</sup> ينظر، الذهبي، التفسير والمفسرون، 361/2-362.

<sup>2</sup> ينظر، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 64-65.

<sup>3</sup> ينظر، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 249/25-251.

<sup>4</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 481/5-482.

طرحوا نظرية جاءت التجارب لتؤكد عكسها، ولا يزال اهتداء الطائر إلى عشه قاطعاً المسافات الشاسعة لغزاً يُحير العلماء<sup>1</sup>.

المسألة الرابعة: عدم تعرضه للمبهمات وآيات العقيدة وعلامات الساعة في القرآن الكريم:

المبهمات هي الأمور التي لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى - ولم يأت نص قطعي ببيانها وتوضيحها، فلا مجال للرأي فيها<sup>2</sup>، أي أنها حقائق قرآنية أخبرنا الله عنها دون تفصيل، وكذلك آيات العقيدة وعلامات الساعة، فهي حقائق قرآنية لا تحتل التأويل والتفسير بشكل علمي، لذلك نجد النابلسي يلتزم بذلك في تفسيره ويتنبه إليه، بل ويصرح بذلك بقوله: "ينبغي أن نسكت عما سكت الله - سبحانه وتعالى - عنه"<sup>3</sup>، فعند تعرض النابلسي للمبهمات مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13].

لم يتطرق إلى تفسيرها بشكل علمي أو بأي شكل آخر، واكتفى بقوله "أية قرية هذه؟ ومن أصحاب هذه القرية؟ ومن الذين أرسلوا إليهم؟...، إذا أبهم القرآن شيئاً فلا تبحث عن تعريفه، لأن الله حكمة بالغة في ذلك...، فإذا أنت بحثت عنها فكأنك تُفسد على الله حكمته، قف عند الآيات الكريمة، ولا تُحاول أن تبحث عن شيء أبهمه الله"<sup>4</sup>. وكذلك عند تعرضه لآيات العقيدة الإسلامية يستقي أموراً من القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا يخرج عما قرره سلف الأمة في تقرير أمور العقيدة<sup>5</sup>، كتفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]. فيفسرها بقوله: "معنى الاستواء: تمام كل شيء، والإمام مالك سئل: ما الاستواء؟ فقال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، فغير مسموح لنا أبداً أن نتفكر في الله، لكننا نتفكر في خلق الله،

<sup>1</sup> ينظر، المصدر السابق، /155.

<sup>2</sup> ينظر، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 4/95.

<sup>3</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 7/594.

<sup>4</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 7/460-461.

<sup>5</sup> المصدر السابق، 8/155-156.

ولا نتفكر في ذات الله، فأكمل موقف أن تفوض معناها إلى الله...، ويلي التفويض التأويل، فمثلاً ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ [الْفَتْح:10] تعني قدرته...، وأما التجسيد؛ فعقيدة فاسدة، والتعطيل عقيدة فاسدة<sup>1</sup>. وكذلك علامات الساعة، فلم يتطرق النابلسي إلى تفسيرها بشكل علمي، بل اكتفى بالإشارة إلى ما ورد فيها من أحاديث صحيحة وأقوال، كحديثه عن الدابة في سورة النمل فقد أشار إلى أن علمها عند الله تعالى، واكتفى بسرد الأحاديث الواردة فيها<sup>2</sup>. لكن النابلسي اعتمد في أحد تفسيراته على نظرية علمية ونوه إلى كونها نظرية<sup>3</sup>، وفسر بنظرية أخرى في موضع آخر فريد دون التنويه لذلك<sup>4</sup>، وتعرض لعلامات الساعة بتفسير علمي في موضع مُنقطع النّظير، وفسر فيه الدخان الذي يدل على علامات الساعة "بضعف البصر والغشاوة على العين من شدة الجوع"<sup>5</sup>.

#### المطلب الخامس: عدم التعرض للمعجزات بالتفسير العلمي

كما التزم النابلسي بعدم تعرضه للمُبهمات وعلامات الساعة والعقيدة في تفسيره العلمي، نجد النابلسي يلتزم بعدم تفسير المعجزات بشكل علمي في مواضع الآيات الدالة على المعجزة<sup>6</sup>.

#### المسألة الأولى: الفرق بين المعجزة المادية ومعجزة القرآن الخالدة

يتعرض النابلسي في تفسيره إلى الحديث عن المعجزة وتعريفها، ومن خلال حديثه عنها يظهر موقفه منها بعدم تعرضه لها بأي تفسير سواء كان علمياً أو غيره، فيعرف المعجزة بقوله: "المعجزة أمرٌ يجريه الله على يد نبيٍّ يفوق طاقات البشر، ويخرق قوانين الطبيعة، ويتجاوز خواصّ الموادّ، ويتحدّى به النبي قومه، فلا يقدر أحد على معارضته، والمُعجزات سميت أيضاً دلائل النبوة، وأعلام النبوة، وعلامات النبوة، وسماها

<sup>1</sup> المصدر السابق، 531/3.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 6 / 452-453.

<sup>3</sup> المصدر السابق، 50/9.

<sup>4</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 153/5-154.

<sup>5</sup> المصدر السابق، 386/8.

<sup>6</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 122/9.

القرآن الكريم البينة والبرهان والآية"<sup>1</sup>، فالمعجزات عنده هي البينات، وشيء خارق للعادة، يظهر للناس، ولا يقدر عليه أحد سوى رب السماوات والأرض، ومعجزات الأنبياء السابقين حسية كعود الثقاب تُشعله ثم ينطفئ، وتصبح خبراً يُصدّقه من يصدّقه، ويكذّبه من يكذّبه، على عكس معجزة النبي \_صلى الله عليه وسلم\_ وهي القرآن الكريم، فهي مُعجزة عقلية بيانية ليس لها عُمر، فهي خالدة إلى يوم القيامة، فتحدى النبي \_صلى الله عليه وسلم\_ العرب كافة على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم وعجزوا.

والبرهان الأقوى إعجاز القرآن العلمي، والتربوي، والبياني، والتشريعي، فكلما تقدم العلم كشف جانباً من جوانب هذا الإعجاز الذي أعجز الخلق جميعاً عن أن يأتوا بمثله<sup>2</sup>، وهذه المُعجزات تتناسب مع طبيعة العصر، ففي عهد فرعون كان السحر قد بلغ شأواً كبيراً، فجاء سيدنا موسى \_عليه السلام\_ بمعجزة تُبطل سحرهم، وفي عهد عيسى \_عليه السلام\_ كان الطبُّ متوقفاً، فجاء سيدنا عيسى بإحياء الموتى، ولكن في عهد النبي \_صلى الله عليه وسلم\_ كانت الفصاحة والبلاغة والبيان والشعر والخُطباء وأسواق الأدب من سماء العصر، لذلك جاءت معجزة القرآن، والفرق كبير بينها وبين المعجزات الحسية التي جاء بها الأنبياء أن تلك وقعت وانتهت، وأصبحت خبراً يُصدّقه المصدّقون، أو يكذّبه المُكذّبون، ولكن معجزة النبي \_صلى الله عليه وسلم\_ - معجزة قائمة بذاتها، بيّنة واضحة لكل ذي بصيرة، إنها قرآن يُتلى إلى يوم القيامة<sup>3</sup>.

المسألة الثانية: تزيق النابلسي بين المعجزة والإعجاز والآية:

يفصل بين المعجزة والإعجاز خيط رفيع انتبه إليه النابلسي في تفسيره؛ فالمعجزة هي شهادة من الله تعالى لأتبيائه ورسله أن هذا الإنسان رسول الله بخرق القوانين والنواميس الثابتة؛ كمعجزة البحر حينما أصبح طريقاً ييبساً، ومعجزة انشقاق القمر، أما الإعجاز فهو إشارة مُبكرة لقضية علمية اكتُشفت بعد مئات السنين، فحينما تأتي إشارة إلى قضية علمية ذُكرت في القرآن الكريم، ولم تكن معروفة وقت نزول الوحي، ثم

<sup>1</sup> المصدر السابق، 503/6.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 223/9.

<sup>3</sup> ينظر، المصدر السابق، 503/6.

اكتشفت فيما بعد فإذا هي مطابقةً مطابقةً تامة للحقائق العلميّة؛ فهذا إعجاز، وهو وفق القوانين؛ كسبق علمي، فتكون الآية القرآنية حينها دليلاً على أن الذي خلق الكون والسموات والأرض هو الذي أنزل هذا القرآن<sup>1</sup>، كذلك يُفرق بين الآيات الخارقة للعادات وهي المعجزة والآيات التي تكون ضمن قوانين الكون بقوله: "فإذا كفر الناس، ولم يوقنوا بآيات الله الدالة على عظمته، فلا بدّ لهم عندئذٍ من آيات تُعدُّ خرقاً لقوانين الكون؛ لأنهم كانوا بآياتنا الطبيعية لا يوقنون، فعندنا آيات خارقة للعادات، وهناك آيات من ضمن قوانين الكون، فنزول المطر آية، لكنها ليست خارقة للعادات، وإنما هي آية وفق مقتضى القوانين والسنن، وأما خروج الناقة من الجبل لقوم صالح فهذه آية أيضاً، كما قال تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الأعراف: 73]. لكن هذه الآية أساسها خرق العادات، وهذه المعجزة -خروج دابة من الأرض- ومثيلاتها مستحيل عادةً، ولكنها ليست مستحيلة عقلاً؛ لأن الله تعالى إذا أراد شيئاً؛ فإنما يقول له: كن؛ فيكون، ومن عرف الله تعالى وقدرته يسهل عليه فهم المعجزات، على عكس من لم يعرف الله -عز وجل- و تحكمت به العادات؛ فربما يحمله هذا الفهم الساذج القاصر على إنكار بعض المعجزات"<sup>2</sup>.

المسألة الثالثة: النابلسي لم يُفسّر المعجزات واكتفى بتصديقها على حقيقتها الخارقة للقوانين:

المُتَّبِع لتفسير النابلسي عند الآيات التي تتحدث عن المعجزات في القرآن الكريم يجد أنه لم يتطرق لأي معجزة بتفسير علمي أو حتى بتقريبها وجعلها منطقية بتقريبها للعقل من خلال ضرب الأمثال أو غيرها، فمثلاً عند تفسيره لمعجزة الإسراء والمعراج لم يتحدث حتى عن التطورات الكبيرة من طيران ومركبات فضائية تُقرب مفهوم رحلة الإسراء والمعراج، بل اكتفى بالتعبير عنها بكونها معجزة فوق طاقة البشر، ولا يُمكن أن يحدث هذا إلا خالق الكون الذي بيده أن يعطل قوانين المكان والزمان، فانتقل النبي -صلى الله عليه وسلم- بجسده الطاهر وبروحه الشريفة من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ومن بيت المقدس إلى

<sup>1</sup> ينظر، المصدر السابق، 86/7.

<sup>2</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 453/6-454.

السماء في جزء يسير من الليل<sup>1</sup>، وكذلك عند تفسيره للآيات التي تتحدث عن مُعجزة سيدنا موسى عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَجِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: 69]. أي: ألقِ العصا التي معك، فألقى سيدنا موسى عصاه، فإذا هذه العصا تتقلب إلى أفعى عظيمة، والأبلغ من ذلك أن الأفعى جعلها الله تعالى تأكل حبالهم وعصيهم، فهذه مُعجزة تفوق طاقات البشر والجن، فيها خرق لقوانين الكون، تُثبت نبوة عيسى \_ عليه السلام<sup>2</sup>، وكذلك الحال عند حديثه عن مُعجزة انشقاق القمر، عبر عنها ببلاغة بقوله: "وانشقاق القمر من المعجزات الحسية التي طالب بها كفار قريش، وهم حين طالبوه بانشقاق القمر؛ غاب عنهم أنَّ القمر أعظم من انشقاقه...، وأنَّ نظام الكون على ما هو عليه أعظم من خرقه، ولكن الكافر يتعنَّت، ويجحد، ويطمس ما يوصله إلى الحقيقة"<sup>3</sup>.

المسألة الرابعة: اعتراض النابلسي على من يُفسر المعجزة بتفسير علمي:

لم يكنف النابلسي بعدم تفسير المعجزات بشكل علمي، والتأكيد على عظمتها وكونها خارقة للعادات ولا تقبل التأويل، بل أنكر على من فسرها وشرحها وبسطها في العصر الحديث فسلب منها روح خرق العادة ليفهمها العقل بشكل بسيط غير خارج عن المألوف، ففي تفسيره لسورة الفيل عند قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝﴾ [الفيل: 3-4]. فيسرد ما ورد في تلك المُعجزة من أحاديث صحيحة عن النبي \_ صلى الله عليه وسلم\_ ويؤكد على حدوثها كمعجزة بخرق القوانين على حقيقتها، ثم ينوه إلى أنها لا تخضع لنواميس الكون، ولا ينبغي تفسيرها بالجرائم بقوله: "فلا ينبغي أن تقول: إن هذه الطير كان معها جرائم الجدي، وقد أصابت هذا الجيش، فهذا فعل الله المُباشر، ولا يخضع لنواميس الكون، ذلك فعل ربك وكفى"<sup>4</sup>، فالنابلسي يُشير ضمناً إلى صاحب هذه المقولة وهو الإمام محمد عبده حين عبّر عن تلك المعجزة بالجدي والحصبة بقوله: "وقد بينت لنا سورة الفيل أن ذلك

<sup>1</sup> ينظر، المصدر السابق، 5/ 193-195.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 424/5.

<sup>3</sup> المصدر السابق، 9/ 122-123.

<sup>4</sup> المصدر السابق، 10/ 477.

الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض"<sup>1</sup>، وكذلك الحال في تفسير النابلسي لمُعجزة خروج الناقة من الصخر الأصم<sup>2</sup>. فمن بين الأمور التي لاقت رواجاً للتفسير وجعلته مُتقبلاً بين الناس ميزة عدم تعرض النابلسي مُطلقاً لتفسير المُعجزات، ولم يكتفِ بهذا الحد بل انتقد من قام بتفسيرها في كل فرصة كانت تسمح له.

---

<sup>1</sup> محمد عبده، محمد بن عبده بن حسن خير الله، ت: 1905م، تفسير جزء (عم)، الجمعية الخيرية الإسلامية، ط3، 1341هـ، مطبعة مصر، ص158.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 3/ 553-555.

## المبحث الثاني: المآخذ على التفسير العلمي للنايلسي

### المطلب الأول: توسع النايلسي في التفسير العلمي

من لا يعمل لا يخطئ، وأن تجد بعض المآخذ في تفسير يتألف من عشرة أجزاء بعشرات الآلاف من الصفحات مُقابل الإيجابيات الكبيرة وقبول الأمة لهذا التفسير ورواجه يُعد بحد ذاته تميزاً، وتلك المآخذ لا تخرج التفسير عن مضمونه أو تمس بالعقيدة، كالتوسع في التفسير العلمي الذي لا يخلو من فائدة ومعلومات قيمة ومهمة، لكنها تُبعدنا عن النص الأساسي والمقصد الأساسي للآيات في بعض الأحيان. لقد اهتم النايلسي اهتماماً كبيراً بالتفسير العلمي، وخصص له مساحة واسعة في تفسيره من خلال ربطه للعديد من الآيات بالحقائق العلمية في مجالات مختلفة، واستخدامه للأدلة العلمية لدعم تفسيراته؛ انطلاقاً من قناعة النايلسي بأن التفكر العلمي أوسع باب وأقصر طريق يصل الإنسان من خلال إلى الله؛ كونه يضع الإنسان وجهاً لوجه أمام عظمة الخالق<sup>1</sup>.

### المسألة الأولى: التوسع العلمي في تفسير النايلسي:

توسع النايلسي في تفسيره العلمي مقارنةً بالجوانب الأخرى، فالنايلسي يُسهب في حديثه العلمي ولديه العديد من الأمثلة العلمية عند تفسيره للآيات، فيدخل في عدة مواضيع كي يتأكد من وصول المعلومة للقارئ، فتجده يبعد عن صلب الموضوع حتى ينسى القارئ الموضوع الأساسي للآية، فأحياناً عند تفسيره لكلمة فضفاضة تحوي العديد من المعاني العامة يتجاوز عدة صفحات في توضيحه لها، فمثلاً عند تفسيره لكلمة "بديع" كونها تتحدث عن الإبداع في الخلق يدخل النايلسي في كل ما له علاقة بالإبداع الإلهي فينتهي به المطاف إلى الحديث عن الأرض وعناصرها<sup>2</sup>، وكذلك في تفسيره للآيات يدخل في عدة مواضيع علمية فيحتاج لصفحات كثيرة لشرح آية تتحدث عن خلق الإنسان مثلاً، فيتكلم عن كل ما توصل إليه العلم

<sup>1</sup> ينظر، المصدر السابق، 15/1.

<sup>2</sup> ينظر، النايلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النايلسي، 320-318/1.

الحديث في جسم الإنسان بأجزائه كافة بدلاً من سرد مثال علمي واحد والإشارة لوجود العديد من الأمثلة، أو عند حديثه عن كتاب الله تعالى وهدايته في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَلِكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]. فيسرد النابلسي عشرات الأمثلة العلمية كي يبين كل ما يمكن أن تتضمنه الآية من كون القرآن الكريم هداية للناس ولا ريب، فيه فهو معجزة خالدة بحروفه وكلماته<sup>1</sup>.

المسألة الثانية: نظام المحاضرات زاد من التوسع العلمي:

لعل أبرز ما يجعل التوسع كبيراً في التفسير العلمي إضافة لما سبق، كون الكتاب عبارة عن محاضرات أمام الناس وتم تحويلها إلى نصوص كما هي، فمن الطبيعي في نظام المحاضرة أن يدخل المفسر في متاهات التفسير العلمي، وأن يقف كثيراً عند النصوص كي يستفيد الحاضرون، ولعل جزءاً منهم يحضر لأول مرة، فيحتاج إلى التوضيح والشرح لكل ما يتعلق بالموضوع، أو لعل الحاضرين معظمهم من عامة الناس فيحتاجون لضرب الأمثلة الكثيرة كي تصل المعلومة، ثم إن النابلسي يستشهد دوماً بالعديد من الآيات والأحاديث النبوية وأقوال العلماء ذات العلاقة بالموضوع، ويُفسرها كلها مرة ثانية رغم تفسيرها في مواضعها، وهناك العديد من الأمثلة المنتشرة في تفسيره، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]. يبدأ بالحديث عن الماء واليابسة والنباتات وخصائصهما العلمية مُستشهداً بآيات من سورة الإسراء، والحجر، والفرقان، والفتح، وأحاديث من الصحيحين، ثم ينتقل إلى الحديث عن السماء وما تحويه من كواكب وإبداع للخالق فيها مُستشهداً بآيات من سور الزمر، والأنبياء، والحج، والواقعة، وفاطر، والفرقان، والنحل، والسجدة، والبقرة، ويونس، عدا عن تلك الأقوال الخاصة بالعلماء والمفسرين والآثار

<sup>1</sup> ينظر، المصدر السابق، 1/49-68.

والأحاديث ذات العلاقة بالموضوع، مع تفسيرها بشكل علمي، فلا يكتفي بسردها فقط بل يعمل على توضيحها وتفسيرها مما يزيد من حجم التفسير العلمي لديه<sup>1</sup>.

المسألة الثالثة: تجاوز تفسير الآيات العلمية الحد الذي صرح به النابلسي في مقدمته:

على الرغم من تصريح النابلسي عن عدد الآيات العلمية التي فسرها في تفسيره ولا تتجاوز "ألفاً وثلاثمائة آية"<sup>2</sup>، فإن التوسع بأشكاله كافة للآيات جعلت التفسير العلمي يطغى على باقي الجوانب، بالإضافة لضربه للأمثلة العلمية للكثير من الآيات التي لا تحوي إشارات علمية، فتجد تفسيره يزخر بالعلم ويتجاوز الحد الذي صرح، فعلى سبيل المثال في قوله تعالى ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40]. هذه الآية لا تندرج تحت الآيات العلمية، ولكن النابلسي يتحدث فيها بشكل كبير عن التفسير العلمي ضمن أمثلة توضيحية توسع بها عن الجاذبية الأرضية، والأرض، وجسم الإنسان، والنباتات<sup>3</sup>. فالتوسع في تفسيره سمة غالبية وواضحة تُشتت القارئ وتزيد عدد الصفحات؛ مما يجعل بعض القراء يعزفون عنه، ويُبعده عن مقصده الروحي الأساسي.

### المطلب الثاني: الاعتماد على التأويلات الشخصية (وهي كثيرة في تفسيره)

للقرآن الكريم جمال في دقة اختيار ألفاظه التي تقود القارئ إلى التأثر كما حدث لكفار قريش؛ ما جعل أحد أساطين البلاغة وألد أعداء الإسلام الوليد بن المغيرة بعد سماعه لآيات القرآن الكريم في العصر الجاهلي يقول مقولته الشهيرة: " والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه طلاوة، وإنَّه يعلو ولا يُعلى عليه"<sup>4</sup>. فلم يستطع أحد من الخلق مهما أوتي من الفصاحة والبلاغة أن يجاري القرآن الكريم، فحروف القرآن الكريم وكلماته تُعبر عن الكلمة بشكل دقيق، لذلك يجب التحري جيدا عند تفسيرها والتأكد من معانيها الدقيقة، فالنابلسي وقع

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 113/1-123.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 10/1.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 180/1-189.

<sup>4</sup> القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت: 671هـ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1384هـ، 70/19.

في بعض الأحيان في أخطاء بناء على فهمه غير الدقيق للكلمات والآيات أو بربطها بتأويلات شخصية لا تعتمد على أدلة علمية وحقائق ثابتة.

المسألة الأولى: التأويلات الشخصية في التفسير العلمي:

في خضم التفسير العلمي بحقائقه يخلط النابلسي في كثير من الأحيان بأقواله الشخصية من خلال ربطها بالحقائق بشكل غير صحيح، أو بالاعتماد على أقوال ومصادر غير دقيقة ولا يُعتمد عليها؛ فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 173]. يتحدث عن التفسير العلمي لتحريم لحم الخنزير كون أكلته المفضلة الحيوانات الميتة؛ من جيف وجردان وغيرها، ولو تم تعقيمه ووضعه في مزارع يظل الخطر مُحدقاً، فحينما تموت دابة في الحقول وتفوح رائحة منها لا تُحتمل، يأتي الخنزير فيأكلها، فمن دون الخنزير تبقى المنطقة التي تحوي الجيفة إلى مئتي متر لا تُحتمل رائحتها، فالخنزير مُعرم أشد الغرام بلحم الجيف والفظائس<sup>1</sup>، فربط النابلسي تحريم لحم الخنزير بسبب أكله واعتماد على الحيوانات الميتة والجيف ومعظم الحيوانات المُحرّم أكل لحمها تعتمد على أكل الحيوانات الميتة كالأسد والكلاب وكُل آكلات اللحوم، فتحريم الله تعالى لأكل لحم الخنزير والتنصيص عليه في أكثر من موضع في القرآن الكريم يدل على حكمة أخرى لا تتفق مع بقية الحيوانات، رُبما تحتاج للمزيد من الأبحاث لمعرفة وربما كان اختبار من الله تعالى لنا دون أن نعرف تلك الحكمة، ولكن إقحام تفسير غير منطقي ويعتمد على تأويلات شخصية يضر بالتفسير ويجعل منه ثغرة لأعداء الإسلام للطعن فيه، ثم إن النابلسي تطرق للحديث أيضا عن أخلاق الخنزير بقوله: "ومن أخلاق الخنزير يأتي أنثاه أمام الناس، ولا يستحي...، فأشد أنواع الحيوانات إباحية وتفلتاً هو الخنزير، ونحن نستخدم كلمة خنزير للذي لا دين فيه، أو لرجل لا يغار على عرضه، أو يرضى الفاحشة في أهله، أو لديوث، فنقول له: أنت مثل الخنزير"<sup>2</sup>، ما الرابط الذي ربط به النابلسي تحريم لحم الخنزير بكلامه السابق؟! الله سبحانه وتعالى

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 416/1.

<sup>2</sup> المصدر السابق، 416/1.

خصص التحريم للحم الخنزير فقط ولم يُحرم الخنزير ككل ويدعو المُجتمع لقتله، فله في خلقه شؤون لا نعرفها، ثم إن الحيوانات مُعظمها تتزاوج أمام الناس وليس الخنزير وحده، ثم ربطه لمُصطلحات دارجة على السنة الناس ليستشهد بها على كون كلمة الخنزير تُستخدم لوصف الشخص بالفاحشة وغيرها، فالربط والتفسير في هذه الآية غير مُوفق كونه يعتمد على تأويلاته الشخصية غير المُناسبة وبعيدة عن التفسير المنطقي. وكما في تفسير النابلسي لآية خلق السماوات والأرض عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]. يُفسر النابلسي هذه الآية وفي عدة مواضع تتحدث عن خلق السماوات والأرض بأنها تُشير إلى أن كل يوم من أيام الخلق يُعادل مُدة زمنية طويلة جداً تصل إلى ملايين السنين حسب بعض التقديرات، فيرى النابلسي أنّ هذه الأيام ليست أياماً عادية كما نعرفها، وإنما هي أزمنة طويلة جداً، فالقرآن الكريم لم يذكر مُدة هذه الأيام بشكل دقيق، فيُعد تفسير النابلسي اجتهاداً منه دون وجود أدلة قوية تُثبت<sup>1</sup>، فالنابلسي صرح في مُقدمته اعتماده على أمّات التفسير وذكر منها القرطبي، إلا أن القرطبي في تفسيره للآية يرى أن مُدة هذه الأيام تفيد يومين من أيامنا المعروفة بمقدار يومين ولياليهما<sup>2</sup>. فجاء بتفسيرٍ مُخالفٍ ولا يعتمد على أدلة قوية بل على تأويلات شخصية للآيات، وكذلك في تفسيره لآيات سورة البقرة وتفسيره للجبال والرواسي<sup>3</sup>.

المسألة الثانية: استشهاد النابلسي بأقوال عامة توجي بضعف مصادره:

ضمن التأويلات الشخصية التي فسّر النابلسي بها؛ كان يستخدم في تفسيره العلمي مُقدمات توجي بضعف المصدر الذي يعتمد عليه، بل وعدم اعتباره من صيغته التي توهنه كتعبيره بقوله: " سمعت أن أبعد مجرّة اكتُشفت بُدّها عنا ثلاثة عشر ألف مليون سنة ضوئية<sup>4</sup>، ثم أنبأني أحدهم أن أحدث مجرّة تبعد عنا الآن خمسة وعشرين ألف مليون سنة ضوئية

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 528/3-531، والمجلد التاسع: 202-204، والمجلد الثامن: 211-216.

<sup>2</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 342/15.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 113/1-123.

<sup>4</sup> بشارة، جواد بشارة، الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، الناشر: إي كتب، ص766.

وهذا معنى السين في قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53]. أي أن العلم في طور التجدد، والاكتشافات مستمرة في الكون ومخلوقاته، وكلما تقدّم العلم؛ وجد في الكون شيئاً عجبياً لا يُصدق، فإذا أردت المعجزات في الأفاق؛ فما أعظمها! فالكون فيه تقريباً مليون مليون مجرة وفي كل مجرة مليون مليون نجم....<sup>1</sup>، فالنابلسي في تفسيره لهذه الآية بدأ بالحديث عن سماعه ولم يُحدد مصدر السماع، ثم أكمل قوله أن أحد الناس أخبره، ثم عبر عن معلومة بقوله بشكل تقريبي، فمنذ متى تؤخذ المعلومات والحقائق من أقوال الناس والسماع من مصادر غير معروفة وبشكل تقريبي؟

المسألة الثالثة: ضعف المراجع التي اعتمد عليها النابلسي:

يفتقر تفسير النابلسي للهوامش في صفحاته، فتفسيره بمجلداته العشرة لا يحوي أي حاشية سفلية وتوثيقاً وفق الأصول العلميّة، فالنابلسي اكتفى في مقدمته بالإشارة لكون التفسير العلميّ يعتمد على الموسوعات العلميّة العالميّة والتي تمت ترجمتها إلى اللغة العربيّة، وتضمنت البحوث العلميّة الأخيرة القطعية والمعتمدة، وتكفل مجموعة مختصون بالدراسات العلميّة من طب وهندسة وعلوم وغيرها، بمراجعة الأرقام والإحصائيات وبعض المسائل العلميّة<sup>2</sup>، فالنابلسي لم يوثق داخل الصفحات هذه المجالات التي اعتمد عليها وكل قول من أين مصدره، واكتفى بمن اعتمد عليهم بمراجعة بعض المسائل فلم يُعبر عنها بصيغة الجمع بل ببعضها، ثم إنه لم يبين أيضاً أسماء هؤلاء لمعرفة هذا الفريق، وهل هو أهل لذلك ويُعتمد عليه أم لا في التحري للمسائل العلميّة، ففي تفسيره لسورة الرعد مثلاً يبدأ بالحديث العلميّ بقوله: "قرأت عن حيوان اسمه السمك الهلامي...<sup>3</sup> فيتكلم كلاماً علمياً طويلاً عن هذا السمك، فما هو مصدر معلوماته؟ لم يبين ذلك، وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ

<sup>1</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 259/8-260.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 13/1-14.

<sup>3</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 551/4.

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد: 2]. فيقول: "قبل فترة قرأت في صحيفة مقالاً مترجماً إلى اللغة العربية عن أحدث مجرة تم اكتشافها، وفيه أن المجرة كان ضوءها في مكانها الذي أرسلت منه قبل اثني عشر ألف مليون سنة ضوئية...، وقبل أسابيع غزا الجراد بعض بلاد أفريقية، فسمعت أنه التهم في يوم واحد أكثر من مئة مليون طن من المواد الغذائية أو المحاصيل أو النباتات"<sup>1</sup>، فكيف يستشهد النابلسي في تفسيره العلمي بمقال في جريدة؟ وما هي تلك الجريدة؟ فالأصل أن يتم توثيقها في الهامش كون الصيغة واضحة أنها ضعيفة كونها من جريدة، ثم تكلم في تفسير الآية نفسها عن كلام علمي بصيغة السماع فقط، أي أنه سمع ولم يذكر مصدر سماعه، هل هو من شخص؟ ومن هو؟ هل من محطة تلفزيونية، وما هي؟ وكيف يعتمد على معلومة بطريقة موهمة بالسماع من مجهول دون توثيقه؟!، وكذلك عند تفسيره لسورة البقرة واعتماده على بحث قدم لجامعة<sup>2</sup>، فلم يذكر في الهامش ما هي الجامعة وموثوقية هذا البحث، ثم إن البحث في مرحلة التقديم ظاهر من قوله ولم يُعتمد. النابلسي كتابه كان عبارة عن محاضرات مُسجلة كان يختصر المعلومة ولا يذكر مصدرها وهذا مناسب لنظام المحاضرات لفئة مُعينة، أما في كتابه الذي يُخاطب العالم أجمع فلا بُد من ذكر المصادر وتوثيقها في تفسيره، وعدم الاعتماد على الأقوال بالصيغ التي تم ذكرها سابقاً، ومعرفة الفريق المختص الذي راجع تفسيره لبعض المواضع، والعمل على سد هذه الثغرات بإنشاء فريق معروف ومختص لمراجعة المسائل كلها وتوثيقها في الهامش.

### المطلب الثالث: إهمال الجانب الروحي للقرآن الكريم

نزل القرآن الكريم لهداية البشر إلى السلوك الذي فيه صلاح المجتمع، والتربية السليمة التي تؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة بشكل سوي، فالقرآن الكريم بما يحويه من إيمان بالله تعالى يُشكل قوة خارقة تمد الإنسان بطاقة روحية تُساعده على تحمل مشاق الحياة. فيرمز علماء الإسلام إلى الجانب الروحي عند

<sup>1</sup> المصدر السابق، 552/4.

<sup>2</sup> النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي"، 365/1.

حديثهم عن القيم الإسلامية وتصنيفاتها، وتُصنف هذه القيم من حيث تعلقها بأبعاد شخصية الإنسان، كالبعد الروحي بالقيم التي تنظم علاقة الإنسان بخالقه وصلته به<sup>1</sup>.

المسألة الأولى: التوسع في الجانب العلمي طغى على الجانب الروحي في تفسير النابلسي:

يُعد التركيز على الجوانب العلمية للقرآن الكريم في تفسير النابلسي قضية أساسية طغت على باقي الجوانب، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية، من أهم أهدافه تنمية المشاعر الروحية والقيم الأخلاقية وليس فقط تفسير الظواهر العلمية مع أهميتها، فتفسير النابلسي العلمي فيه مُساهمة كبيرة وقيمة في فهم القرآن الكريم، لكنه في خضم مطاردته لكل كلمة وربطها بالعلم ومُكتشفاته يُغفل أحياناً الجانب الروحي للآية، فيشرح الآية بكل ما تحمله من إشارات علمية ويضرب الأمثلة الكثيرة وكأن القرآن كتاب علمي بحت، فمثلاً عند حديثه عن خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 77]. يفسر الآية بشكل علمي بحت، مركزاً على معانيها اللغوية والعلمية، بشرح الخلق كعملية فيزيائية كونية، وربطها بحقائق علمية مثل الانفجار العظيم، والحديث الطويل عن علم الأجنة، فيغفل عن الجانب الروحي للخلق، فلم يذكر مشاعر العظمة والرهبة التي تملأ قلب المؤمن عند تأمل عظمة الله في خلقه، ولم يوضح دور هذه الآية في تقوية الإيمان بالله تعالى<sup>2</sup>. وكما في تفسيره لآيات خلق السماوات والأرض من سورة البقرة، يركز النابلسي على الجانب العلمي للآية بالحديث عن المجرات وأعدادها وتكويناتها، وعن الشمس والنجوم، ودقة خلق السماوات والأرض وطبقات الجو، بينما يُهمل الجانب الروحي المتعلق بعظمة الله تعالى وقدرته على خلق الكون بدقة وإتقان، وعن مشاعر التوحيد

<sup>1</sup> ينظر، بن حميد، صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دارالوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، 84/1.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، "491/7-493.

بالإحساس بوحداية الله تعالى في الخلق والتدبير<sup>1</sup>، وكذلك تركيزه على تفسير آيات الصيام ببيان فوائده الصحية، دون التركيز على معانيها الروحية مثل تهذيب النفس وتقوى الله تعالى<sup>2</sup>.

المسألة الثانية: اعتماده على تفسيرات علمية مُعقدة:

ضمن سياق إغفال الجانب الروحي في تفسير النابلسي؛ نجد في كثير من الأحيان أيضاً تفسيرات علمية مُعقدة تحتاج إلى المزيد من الشرح لفهمها، وهذا يُحول القرآن الكريم الذي يخاطب الناس جميعاً بلغة سهلة ومفهومة إلى لغة معقدة من الطبيعي أنها تُخرج الجانب الروحي وتجعل منه كتاباً علمياً، ومسائل تحتاج للكثير من الجهود لفهمها، فمثلاً عند تفسيره لبدائيات سورة النازعات عند قوله تعالى: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝٣﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: 2-3]. يتحدث عن الكتلة والفيزياء والانجذاب، ويضرب أمثلة علمية مُعقدة عن الكتلة وأحجامها، حتى إن النابلسي يصفها بحسابات رياضية مُعقدة<sup>3</sup>، وكذلك عند تفسيره لبدائيات سورة الأعلى يتطرق إلى الحديث عن الإنسان وإبداع الخالق فيه بلغة علمية صعبة الفهم، يتكلم فيها عن الخلايا والبوتاس والغدد والمفرزات الحامضية، والأغشية التي تكون بين خلايا الدم<sup>4</sup>، فالقرآن الكريم يجب أن يكون التفسير فيه مُتوازناً لا يطغى أحد الجوانب على الآخر، وتفسيره بشكل سهل يخاطب عقول الناس كافة كي يظل الجانب الروحي السامي فيه يُشكل نقطة فارقة تدخل منها الأجيال إلى دين الله تعالى.

#### المطلب الرابع: التفسير العلمي للآيات العامة

رغم أن النابلسي أكد في مقدمته وفي الكتاب على عدد الآيات التي فسرها بشكل علمي وتحوي إشارات علمية، وهي لا تتجاوز ألف وثلاثمئة آية<sup>5</sup>، فإن النابلسي لم يلتزم بهذا العدد، فكان يضرب العديد من الأمثلة العلمية في تفسيره للآيات العامة، ويفسر في كثير من الأحيان الآيات العامة بتفسيرات علمية

<sup>1</sup> ينظر، المصدر السابق، 395-393/1.

<sup>2</sup> ينظر، المصدر السابق، 444-437/1.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 229-228/10.

<sup>4</sup> ينظر، المصدر السابق، 318/10.

<sup>5</sup> المصدر السابق، 395/1، و 10/1.

مُتجاوزاً فيها شرطه، وهذا من شأنه أن يُضعف تفسيره ويدخلنا في دوامات بعيدة عن النص القرآني وعن صلب التفسير، مع أنّ هذه الأمثلة والتفسيرات قد تقدم فائدة أحياناً لكنها بعيدة عن جوهر الآية.

المسألة الأولى: الإكثار من ضرب الأمثلة العلمية على الآيات العامة:

يزخر تفسير النابلسي بالأمثلة العلمية التي يضربها على الآيات كونه يؤمن كثيراً بالتفسير العلمي، فيستشهد بالأمثلة العلمية على آيات لا تتضمن تفسيراً علمياً، فالنابلسي مولع بضرب الأمثلة والقصص في تفسيره العادي،، فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَبَلُّوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 155]. نجد النابلسي يضرب عدة أمثلة علمية منها ما يتحدث عن الجراثيم وأجهزة المناعة في جسم الإنسان، ومنها ما يتعلق بالزلازل، ومنها ما يتعلق بالأمراض، ويختتم تفسيرها بمثال علمي يتعلق بالأمطار ونسبتها بشكل دقيق مع أن الآية لا تحمل أي إشارة علمية<sup>1</sup>.

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1]. يضرب مثلاً علمياً عن حليب الأم وأهميته للطفل، وبعض الأمراض التي تصيب المرأة وأبرزها سرطان الثدي في اللواتي لا يرضعن أولادهن<sup>2</sup> حفاظاً على شكلهن بقوله: "أحدث بحث ذكره الأطباء أن أحد أسباب سرطان الثدي امتناع الأم عن إرضاع وليدها، فسّرطان الثدي ينتشر أضعافاً مضاعفة في اللواتي لا يرضعن أولادهن حفاظاً على شكلهن...، فكلما تقدم العلم اقترب من حقائق الإسلام، والآن شركات الحليب في العالم مأمورة أن تكتب على عبوات الحليب: لا شيء يعدل حليب الأم، ومن إعجاز القرآن البلاغي يأتي بالخبر ويريد به الإنشاء؛ أي يا أيها الإنسان سبح الله، ويا أيها الوالدات؛ أرضعن أولادكن حولين كاملين،

<sup>1</sup> ينظر، النابلسي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 373/1-348.

<sup>2</sup> ينظر، بستاني، بطرس بستاني، (ت:1883)، كتاب دائرة المعارف وهو قاموس عام لكل فن ومطلب، مطبعة المعارف، بيروت، 1876م، 628/8، (المعلومة قديمة وليست حديثة ما يعبر عنها النابلسي بكونها أحدث بحث ذكره الأطباء).

فالله تعالى في آيات كثيرة في كتابه يأمرنا بأسلوب تربوي لطيف<sup>1</sup>. فأبي علاقة بين تسبيح الله تعالى وحديثه العلمي عن الرضاة، لا يوجد رابط، والآية عامة ولا يوجد فيها أي إشارة علمية.

المسألة الثانية: تفسير الآيات العامة بتفسيرات علمية:

الناقلي مولى بالتفسيرات العلمية، فهو مطلع على الكثير من الكتب والموسوعات العلمية، لذلك يركز كثيراً على هذا الجانب، فأول ما يغرف من بحره العلمي في تفسير الآيات يغرف التفسير العلمي لكثرة وجوده في مخيلته وعقله، وهناك العديد من النماذج التي تبين التفسيرات العلمية لآيات لا تحوي أي إشارات علمية، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن: 5]. يتحدث في تفسيره للآية عن القانون والعلاقة الثابتة بين متغيرين، وعن تمدد المعادن بالحرارة فيقول: "إذا جئنا بعشرات المعادن وسخَّناها فتمدت استنبطنا قانوناً: أن المعادن تتمدد بالحرارة...<sup>2</sup>، فأبي رابط بين الآيات التي تتحدث عن الكفار والحديث العلمي الذي ضربه الناقلي؟ وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21]. فيضرب العديد من الأمثلة في تفسيره للآية أهمها: عن كشف الحليب المسحوب دسمة باختراع جهاز مكثف يوضع في الحليب، ويغوص في السائل بحسب قدر سحب المادة الدسمة، فتُسحب المادة الدسمة في الحليب، ويوضع بدلاً منها النشاء، ويوضع المكثف، فكان الحليب كامل الدسم! ثم يبين الرابط بين مثاله وبين الآية بقوله: "والآن نحن نحضر جهازاً حديثاً جداً يحدد المادة الدسمة بأدق المعايير، وانتهى الأمر، إذ لا بد من أن يكون المُشرع هو الله؛ لأن الله -عز وجل - يعلم وسيحاسب، ولن تنتظم الحياة إلا بهذه الطريقة"<sup>3</sup>. فالآية عامة ولا يوجد بها أي إشارات علمية

<sup>1</sup> الناقلي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير الناقلي، 199/9.

<sup>2</sup> الناقلي، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير الناقلي، 344/9.

<sup>3</sup> المصدر السابق، 298/8.

والنابلسي يقحم التفسير العلمي في تفسيرها؛ ليثبت أن المُشرع هو الله، ولا داعي للتفسير العلمي عند مثل هذه الآيات كونه يبعدنا عن المقصد الأساسي للقرآن وقد يُنفر الناس بسبب هذه الطريقة.

### المطلب الخامس: الاستعانة بالأحاديث الضعيفة في التفسير العلمي

المسألة الأولى: اهتمام النابلسي بالتفسير العلمي للأحاديث النبوية:

اهتم النابلسي بالتفسير العلمي في السنة النبوية الشريفة كاهتمامه بالتفسير العلمي في القرآن الكريم، فالنابلسي لديه مؤلفات عديدة في هذا المضمار الذي لم يغب عن النابلسي، وخصص له مساحات كبيرة فسّر بها الأحاديث النبوية التي تحمل الإشارات العلمية، وربطها بالحقائق العلمية الحديثة، ومن أشهر تلك المؤلفات: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الإنسان)، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (آيات الله في الأفاق)، والتي قسمها إلى مواضيع تحدث فيها عن كل الأحاديث النبوية والآيات الشريفة التي تتحدث عن الموضوع، وتفسيرها بشكل علمي، كالحديث عن الصلاة مثلاً بجمعه كل الأحاديث والآيات التي تتحدث عن الصلاة وتفسيرها بشكل علمي<sup>1</sup>، لذلك من الطبيعي أن النابلسي في تفسيره للقرآن الكريم يستشهد في كثير من الأحيان بالأحاديث النبوية المحفوظة في ذهنه والاستعانة بها في تفسير الآيات، ثم تفسيرها بشكل علمي يُدعم المعنى في الآية.

المسألة الثانية: التفسير العلمي للآيات بالأحاديث النبوية الصحيحة:

من الأمور الإيجابية أن يذكر الكاتب مصادره في الحديث النبوي، فلا تجد حديثاً من الأحاديث المذكورة في تفسيره إلا وتجد تخريجه من كتب الحديث، فهناك الكثير من الأحاديث التي اعتمد عليها في تفسيره صحيحة أخرجها البخاري ومسلم، كتفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: 17]. فيتحدث عن التفسير العلمي عن الإبل، ثم يستشهد بالحديث النبوي الذي قاله النبي محمد -صلى

<sup>1</sup> النابلسي، آيات الله في الإنسان، 115.

الله عليه وسلم- لعلي بن أبي طالب: "فو الله لأن يهدى بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"<sup>1</sup>، ثم يُفسره تفسيراً علمياً<sup>2</sup>.

المسألة الثالثة: التفسير العلمي للآيات بالأحاديث النبوية الضعيفة:

الناقلي لا يُعرج على أسانيد الأحاديث النبوية التي تُخرَج من غير الصحيحين، ولا يبيِّن درجتها في كتابه، ولا يوجد أصلاً هوامش في كتابه، ويكتفي بذكر من أخرجه من كُتب الحديث؛ لذلك تجد في تفسيره العديد من الأحاديث الضعيفة المنتشرة في أرجاء كتابه، والتي يستشهد بها في تفسيره العلمي للآيات، ففي تفسيره لسورة النمل تحدث عن الأحاديث الواردة في خروج الدابة، وصرَّح أن منها أحاديث صحيحة لكنها لا تحوي تفصيلات، ومنها غير صحيح ولم يذكره، وأكثرها أحاديث ضعيفة واستشهد ببعضها دون توثيقها سوى ذكر مكان ورودها<sup>3</sup>، فالناقلي رغم معرفته وتصريحه بضعف تلك الأحاديث فإنه استشهد بها، فالواضح أن منهج الناقلي أن يحتج بالحديث الضعيف في تفسيره، لورود الكثير من تلك الأحاديث في تفسيره، فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: 16]. يتحدث عن دوران الأرض حول نفسها دورة واحدة في أربع وعشرين ساعة تقريباً، ودوران الشمس في ثلاث مئة وخمسة وستين يوماً وربع، وينتقل إلى الحديث عن الأبراج وهي نجوم المجموعة الشمسية، فيفصل الحديث فيها عن دورانها، فمثلاً كوكب عطارد يدور حول نفسه في ثمانية وثمانين يوماً، أي أن يومه يمتد لهذه الفترة، فلو كانت الأرض مثل تلك الكواكب لكانت غير صالحة للعيش فيها، ثم ينتقل إلى الحديث عنها كونها تُزين السماء بجمالها وبحركاتها المُقدرة من الله تعالى بنظام دقيق، ويستشهد بحديث نبوي عن أبي الدرداء رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا

<sup>1</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، حديث رقم، (3009)، 60/4، ومسلم في صحيحه، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث رقم (2406)، 1872/4.

<sup>2</sup> ينظر، الناقلي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير الناقلي، 336-333/10.

<sup>3</sup> ينظر، الناقلي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير الناقلي، 453-452/6.

رجالكم، وأصلحوا لباسكم؛ حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش<sup>1</sup>، وهذا الحديث ضعيف<sup>2</sup>.

### مثال آخر على التفسير العلمي بأحاديث ضعيفة:

في تفسيره لسورة يس عند قوله تعالى: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَحُ مِنْهُ اللَّيْلُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: 37]. يتحدث عن تبدل الليل والنهار، وتعلقه بحجم الأرض وسرعة دورتها حول نفسها، ثم يستشهد بحديث ضعيف أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" عن دحية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: - (سُبْحَانَ اللَّهِ، أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ؟)<sup>3</sup>، فيعقب على الحديث بقوله: "وهنا شيء دقيق جداً؛ أن الأصل هو الظلام، فالفضاء الخارجي مُظلمٌ ظلاماً دامساً موحشاً، ثم يأتي النهار، فتجد الشمس مُشرقة، والجبال مُتألقة، والسهول نضرة، فأين كان ذلك الأنس مع الضوء؟ وأين ذهب ذلك الأنس مع ذهاب الضوء؟ ومع ذلك يحدث انسلاخ لطيف، فأحياناً يتألق المصباح فجأة فتنبهر عيناك، أو ينطفئ فجأة فلا ترى شيئاً، لكن هذا التدرج في ذهاب الشمس شيء عجيب، فأثناء غيابها تجد الضوء يضعف قليلاً قليلاً، فإذا جاء وقت العشاء، وغاب الشفق الأحمر؛ حل الظلام الدامس...<sup>4</sup>، وفي هذا المثال أيضاً اكتفى النابلسي بذكر مصدر الحديث دون درجته، والحديث ضعيف. وكذلك استشهاده بحديث آخر ضعيف من مسند الإمام أحمد في تفسيره لسورة البقرة، عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المسجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات، لو كانت وراءكم أمة

<sup>1</sup> أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتاب العربي، حديث رقم: (4091). كتاب اللباس. باب ماجاء في إسهال الإزار. (101/4)، قال الألباني: "حديث ضعيف"، الألباني، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ت: 1420هـ، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، الطبعة المجددة والمزينة والمنقحة، 30/1، حرف الألف، حديث رقم: 206.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 15/5-16.

<sup>3</sup> ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: 241هـ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، حديث رقم: 15655، مسند المكيين، حديث التوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم، (18/24)، قال الألباني: "حديث ضعيف"، الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ، مج14، السلسلة الضعيفة، 8/ 163. حديث رقم: (3686). وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (15/5): "هذا حديث غريب تفرد به أحمد.

<sup>4</sup> النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، 475/7.

من الأمم؛ لخدمن نساؤكم نساءهم؛ كما يخدمكم نساء الأمم قبلكم)<sup>1.2</sup>. فالنابلسي اعتمد على الكثير من الأحاديث الضعيفة في تفسيره العلمي دون أن يقوم بتخريجها أو توثيقها في الهامش، وكذلك الحال مع القراءات المتعددة في القرآن الكريم التي عبر عنها في مقدمته بأن هناك فريقاً مختصاً قام بتخريجها ونسبتها بعد مراجعتها من مظانها في كتب القراءات<sup>3</sup>، لكن المُتتبع للآيات التي وردت في أوجه متعددة من القراءات لا يجد أن القراءات تم تخريجها وبيان الأوجه، فالتفسير أصلاً لا يحتوي على هامش واحد!.

**خاتمة الفصل:** وختاماً لهذا الفصل الأخير من الرسالة وجد الباحث أن تفسير النابلسي العلمي ترجح فيه كفة الإيجابيات، ففيه الكثير من العلوم والحقائق التي تم ربطها وتفسيرها بالآيات، مع موافقة للغة العربية، وتعمق النابلسي في ألفاظها بشكل كبير، بالإضافة إلى ربط التفسير بالواقع، وهذه ميزة ذهب عن أذهان معظم المُفسرين، وكذلك اعتماده في تفسيره على التفسير بالآيات والأحاديث النبوية، لكنه في كثير من الأحيان كان يعتمد على الأحاديث الضعيفة، ونرى النابلسي يرد في خضم تفسيره على الشبهات في كل فرصة كانت تسنح له بطريقة علمية مُقنعة، ولم يتعرض للمعجزات بالتفسير العلمي الذي يُفقد خرق القوانين، بل يؤكد دوماً على كونها معجزة ولا تقبل أي تأويل، كذلك كان يعتمد في تفسيره على الحقائق العلمية الثابتة ويؤكد في تفسيره عليها، لكنه اعتمد في بعض الأحيان على التأويلات الشخصية وبعض النظريات دون ذكر مصادرها مع تصديرها بكلام يدل على ضعفها مثل قوله: "أخبرني، وسمعت، شاهدت على التلفاز، قرأت في جريدة" مما يُضعف حقيقتها. وقد توسع النابلسي في تفسيره العلمي توسعاً كثيراً يجعل الغلبة في التفسير للتفسيرات العلمية، فلا يترك فرصة إلا ربط التفسير بالعلم ومكتشفاته، لذلك أهمل الجانب الروحي في بعض المواضع رغم أهميته في كتب الله تعالى، وفسر الكثير من الآيات العامة بشكل علمي أو ضرب الأمثلة العلمية عليها، مما شكل بُعداً كبيراً عن جوهر الآية وشتت القارئ مع وجود فائدة

<sup>1</sup> ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، القاهرة، مؤسسة قرطبة، حديث رقم: (7083)، مسند عبد الله بن عمرو، 223/3، قال الأرنؤوط: "حديث ضعيف"، ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، حديث رقم: 7083، (654/11). الحديث ضعيف لضعف عبد الله بن عياش في سنده.

<sup>2</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 454/1.

<sup>3</sup> ينظر، النابلسي: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة تفسير النابلسي، 14/1.

تحويها لكنها بعيدة عن جوهر الآية، وافترت تفسيره للهوامش رغم أهميتها لتوثيق أي معلومة كانت علمية أو غير علمية لمعرفة مصادرها، واكتفى في مقدمته بذكر بعض المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره وهي لا تتجاوز عشرة مصادر وهي أمات الكتب في التفسير أو بعض الموسوعات العلمية.

## الخاتمة

وفي الختام، أشكر الله الذي وفقني على إتمام هذه الرسالة، وأسأله -جلّ جلاله- أن يتقبلها مني خالصة لوجهه الكريم، ثم لا بد لي من الإشارة إلى أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الرسالة بعد الاستعراض لمنهج النابلسي في تفسير: تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي":

1. موافقة تفسيره لألفاظ اللغة العربيّة والبلاغة وتمكنه الكبير منها.
2. ربط تفسيره بالواقع الذي نعيشه بالأمثلة العلميّة وغيرها مما سهّل فهم التفسير.
3. الرد على الشبهات بأسلوب علمي رصين.
4. عدم التعرض لمعجزات الأنبياء أو محاولة تفسيرها، وكذلك المبهمات وعلامات الساعة وآيات العقيدة.
5. اعتماده على الحقائق العلميّة الثابتة.
6. توسعه الكبير في التفسير العلميّ والذي نتج عنه ما يلي:
  - أ. تجاوز عدد الآيات التي صرح بكونها لا تتجاوز ألفاً وثلاثمئة آية فسرها تفسيراً علمياً.
  - ب. التفسير العلميّ لبعض الآيات العامّة، وضرب الكثير من الأمثلة العلميّة على آيات عامة وعلميّة.
  - ت. التفسير ببعض الأحاديث الضعيفة، والاعتماد على بعض التأويلات الشخصية في بعض الأحيان.
  - ث. إهمال الجانب الروحي رغم ارتكاز كتاب الله تعالى عليه.

## التوصيات

1. العمل على توثيق المعلومات العلميّة في تفسير النابلسيّ وعدم الاكتفاء بذكر بعضها في المقدمة.
2. تشكيل فريق معروف ومختص للتأكد من المعلومات التي يصدرها النابلسيّ بالتشكيك في تفسيره مثل: أخبرني طبيب، وسمعت من أحد الأطباء، وقرأت في جريدة، وغيرها.
3. ضرورة وجود هامش في أسفل الصفحات وتوثيق كل معلومة فيه، وبيان معاني الألفاظ الغريبة.

4. العمل على نشر الكتاب وتوفيره في المكتبات لأهميته وبخاصة مكتبة جامعة النجاح الوطنية، فالكتاب لكونه عشرة أجزاء بالكاد تجده متوفراً، وسعره كبير يتجاوز المئة دينار الأردني.
5. يوصي الباحث أن يكون هذا الكتاب ميداناً للباحثين، ينتفعون منه ويخرجون للأمة ما يعين على صلاح أمورها في الدنيا والآخرة، ويبرزون صورة مُشرقة لهذه الشريعة الغراء.
6. عمل كتاب خاص في التفسير العلميّ لآيات القرآن؛ كون طريقته في العرض موفقة جداً، لكنها تكاد تكون غائبة في بحر المسائل العلميّة.
7. توجيه الباحثين في مجال التفسير العلمي إلى دراسة الحقائق العلمية الحديثة بالاستعانة بمراكز البحث العلمي التطبيقي مثل: مراكز الأمراض والفلك، بالشراكة معها.
8. عمل ندوات تتعلق بالتفسير العلمي بشكل عام.

## قائمة المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

الأبشيهي، أبي الفتح الأبشيهي شهاب الدين بن أحمد، (ت: 852هـ)، المستطرف في كل فن مستطرف،

دار الكتب العلمية، القاهرة، 1971م.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، (ت: 1420هـ): ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب

الإسلامي، سوريا، الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ت: 1420هـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها

السيء في الأمة، دار المعارف، الرياض، ط1، 1412هـ.

النجار، زغلول راغب محمد النجار ، التفسير العلمي للقرآن الكريم يعني: توظيف كل المعارف المتاحة

للإنسان في حسن فهم دلالة الآية القرآنية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الوعي الإسلامي،

مكتبة دار المنظومة، الرياض، العدد424، 2001م ذو الحجة.

باحويرث، تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث ، أثر دلالة السياق القرآنية في توجيه معنى المتشابه

اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليه

السلام ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2007 م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تح: محمد زهير الناصر، دار

الهجرة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، 1422هـ.

بستاني، بطرس بستاني، (ت:1883)، كتاب دائرة المعارف وهو قاموس عام لكل فن ومطلب، مطبعة

المعارف، بيروت، 1876م.

بشارة، جواد بشارة، الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، الناشر: إي كتب، مصر، 2005م.

بطرس، بطرس البستاني، (ت:1300هـ)، محيط المحيط، تحقيق: محمد عثمان، 1971م.

بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن: القرآن والتفسير العصري (هذا بلاغ للناس)، دار المعارف، القاهرة، 2004م.

البوطي، محمد سعيد البوطي (ت: 2013م)، كبرى اليقينيّات الكونية، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1979م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، (ت:249هـ): الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1938م.

ثابت، محمد ثابت، شاعر الليل والكأس: أروع ما كتب إيليا ابو ماضي، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

الجار الله، عبد السلام بن صالح بن سليمان، علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم: دراسة نقدية، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، السعودية، كلية التربية، مج27، ع1، فبراير 2015.

الجديلي، عفاف عبد الرحمن، علوم الأطعمة التجريبية، جامعة حلون، مجموعة النيل العربية للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1991م.

جعفر، عبد الغفور جعفر، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، دار السلام، القاهرة، 2007م.

جي، سائر بضمه جي، القاموس الفلكي الحديث، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2017م.

حاج، بنيرد حاج، الشاهد الشعري وتوظيفه في تفسير مفردات القرآن الكريم: (المحرر الوجيز) لابن عطية  
أنموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، مج33، ع1، 2022.

الحديدي: محمد الحديدي الطير، اتجاه التفسير في العصر الحديث، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة،  
1975م.

الحميد: عبد الكريم بن صالح الحميد، الفرقان في بيان إعجاز القرآن، ط1، دار الوسيلة، الرياض،  
2002م.

ابن حميد، صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر  
والتوزيع، جدة، ط4.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت: 241هـ): مسند الإمام  
أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،  
1421هـ.

حنفي، حسن حنفي، (ت: 2021م): نظرية الدوائر الثلاث (نظرية دارون ونظرية التطور) دار العين  
للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.

الحيرش، جيلالي الحيرش، الإعجاز العلمي في ضوء السياق القرآني: دراسة نقدية، مجلة البحوث العلميّة،  
مج:5، ع5، يناير 2016م.

الخالدي: صلاح عبد الفتاح الخالدي، (ت: 1443هـ) : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم،  
دمشق، ط:3، 2008م.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، (ت: 2022م): إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار  
عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط:1، 2000م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الشرقية، مصر، 1327هـ، ملكية عامة  
قديمة.

خولي، أمين الخولي، (ت:1996م): مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة،  
القاهرة، ط1، 1961م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود، (ت:275هـ)، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي بيروت.

الذهبي، محمد حسين الذهبي، (ت:1348): التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 2003م، ط8.

الرازي، الإمام فخر الدين الرازي، (ت:925م): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) دار الكتب العلميّة، بيروت،  
1990 م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني(ت:502هـ): مفردات ألفاظ  
القرآن، تح: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، 1376هـ.

الرومي، فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط2،  
1403هـ.

الزحيلي، وهبة الزحيلي، (ت: 2015م): الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بين الاصلية والمعاصرة، دار  
المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1418هـ.

الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، ( ت: 1710م): مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر،  
بيروت، 1996م.

الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي، (ت:794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1376هـ.

زغلول النجار: زغلول راغب محمد النجار، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

زغلول النجار، زغلول راغب محمد النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2005.

الزنداني، عبد المجيد بن عزيز الزنداني، (ت:2024م): تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

زهران، زهران عمر زهران، منهج النابلسي في تفسيره تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، عمان، 2021م، مج 17، ع4.

سقا، مرهف عبد الجبار سقا، التفسير الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، تقديم نور الدين عتر وبديع السيد اللحام وحمزة حمزة، دار محمد الأمين للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، أصل الكتاب رسالة دكتوراة، ط1، 2010م.

سيده، علي بن اسماعيل، كتاب المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، 1898.

السيوطي، جلال الدين السيوطي (ت:911هـ): الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى الشاطبي، (ت:590هـ) الموافقات، تح: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997.

شريف، محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، 2008م.

شعراوي، مصطفى متولى شعراوي، (ت:1998): معجزة القرآن، ط1، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1978م.

شهبان، راشد سعيد شهبان، الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، 1428هـ.

الصباغ، محمد الصباغ، (ت: 2013م): لمحات في علوم القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، 1990م.

صبري، مصطفى صبري، (ت: 1954م): موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1401هـ.

صدقي، محمد توفيق صدقي، ت: 1920م، دروس في سنن الكائنات، مصر: في مجلة المنار، ط1، 1333هـ.

الصلابي، علي محمد الصلابي، المعجزة الخالدة، دار المعرفة، بيروت مركز الكتاب الأكاديمي، 2012م.

الطباع، عمر فاروق الطباع، ديوان كعب بن زهير، شركة دار الأرقم بن الأرقم، بيروت- لبنان، 2009م.

طنطاوي: طنطاوي جوهري، (ت:1940م): الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة البابي الحلبي وأولاده مصر، ط: 1350/2هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، (ت:1973م): التحرير والتتوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م.

عباس: فضل عباس، (ت:2011م)، التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016م.

العباسي، رانيا محمد كمال، التفسير العلمي للقرآن الكريم، رابطة الأدب الحديث، ديسمبر 2012م، العدد72.

عبد الله، علي محمد، الأوزون ما هو؟ لمحة تاريخية، صراع الإنسان مع البيئة، رؤية مستقبلية، المناهل للنشر والتوزيع، سوريا، 2016م،

عبد الله، علي محمد، البحار والمحيطات أسرار وكنوز في الأعماق، وكالة الصحافة العربية، العراق، 2013م،

عبد الله، مناس، اسماعيل عبدالله وسيوطي عبد المناس : منهج الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره"الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، مجلة الإسلام في آسيا، العدد الثاني، مصر، يونيو2011م.

عبود، مارون عبود، أدب العرب، الناشر: مؤسسة هنداوي، مصر، 1960م.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (ت: 2001م): شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، دار الوطن، الرياض، ط1، 1995م.

العزاوي، وضاح كافي حلومي محمد العزاوي، أثر السياق القرآني في الترجيح بين المعاني، الجامعة الإسلامية، العراق.

عيدروس، رياض عيدروس عبد الله، ضوابط الاستعانة بالحقائق العلمية عند الترجيح بين أقوال المفسرين، رابطة العالم الإسلامي، السعودية، يناير 2022، ع 62.

الغزالي: محمد الغزالي،(ت:1996): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004.

الغزالي، أبو حامد محمد الغزالي النيسابوري، (ت: 1111م): إحياء علوم الدين، مطبعة لجنة نشر الثقافة

الإسلامية، ط1، 1356هـ.

فرج، السيد أحمد فرج، التفسير البياني في مواجهة التفسير العلمي للقرآن، 2000 م، دار الوفاء للطباعة

والنشر، مصر، ط1، 1987م.

فضل عباس: فضل حسن عباس: (ت:1432هـ): التفسير و المفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في

العصر الحديث، دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن ، ط 1 ، 2016.

فكري، علي فكري، القرآن ينبوع العلوم والفرقان، المطبعة السلفية، مصر، ط1، 1947.

فلاح، أحمد لافي فلاح، دلالة السياق في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي دراسة موضوعية

تحليلية، رسالة ماجستير، اشراف الدكتور مصطفى إبراهيم المشني، كلية الدراسات العليا، الجامعة

الأردنية، 2007م.

فهد الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، إدارة

البحوث العلميّة والإفتاء في السعودية، ط1، 1407هـ.

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري،(ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن،تح:

أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط2، 1384هـ.

قطب: سيد قطب، (ت: 1966م): في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط34، 2004م.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير، (ت: 1373م): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد، ط2، دار

طيبة، بيروت، 1420هـ.

كل شيء عن الحليب: <https://www.alkhaleej.ae>، تمت المشاهدة بتاريخ: 2024/8/8م.

لمياء، لمياء محمود مرسي، أجهزة جسم الإنسان، دار العلم والإيمان، 2018م.

المحتسب: عبد السلام عبد المجيد المحتسب: اتجاهات التفسير في العصر الراهن، مكتبة النهضة الإسلامية الأردن، ط: 3، 1982م.

محمد باقر، السيد محمد باقر الصدر، (ت: 1980): التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، تحقيق: جلال الدين علي الصغير، دار العالمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1989م.

محمد عبده، محمد بن عبده بن حسن خير الله، (ت: 1905م): تفسير جزء (عم)، الجمعية الخيرية الإسلامية، مطبعة مصر ط3، 1341هـ.

مختارية بن قبلية، أثر السياق اللغوي في تفسير الرازي، أطروحة دكتوراة في اللسانيات، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2012م.

مزهرة، أيمن مزهرة، تغذية الإنسان الفرد والمجتمع، دار الخليج، بيروت، ط2، 2017م.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، مصر، 2003م.

مسلم، مصطفى مسلم، (ت: 2021): مباحث في إعجاز القرآن، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط2، 1996م.

المُصلح، عبد الله عبد العزيز المُصلح، الإعجاز العلمي تاريخه وضوابطه، ط2، دار العالمية، بيروت، 2006م.

مناع، أحمد ممدوع مناع، قدرة الإبل على تحمل العطش، معهد بحوث صحة الحيوان - أسيوط، العدد الثاني، 2009م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت:711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

موقع الحرمين الرسمي: <https://gph.gov.sa/index.php>، تمت المشاهدة بتاريخ: 2024/7/1م.

موقع الدكتور محمد راتب النابلسي: <https://www.nabulsi.com>، تمت المشاهدة بتاريخ: 2024/7/1م.

النابلسي: محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الأفاق، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، جادة ابن سينا، ط4، 2010م.

النابلسي: محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الإنسان، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، جادة ابن سينا، ط4، 2010م.

النابلسي، محمد راتب، تدبر آيات الله في النفس، والكون والحياة "تفسير النابلسي"، عمان: مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع، (ط1)، 2016م.

يوريش، الدكتور ن. يوريش، العلاج بعسل النحل، دار القلم - دمشق، ترجمة: محمد الحلوجي، 2016م.



**An-Najah National University**  
**Faculty of Graduate Studies**

**THE NABULSI'S APPROACH IN THE SCIENTIFIC  
INTERPRETATION OF THE HOLY QUR'AN IN HIS  
BOOK: "CONTEMPLATING THE SIGNS OF ALLAH IN  
THE SOUL, THE UNIVERSE AND LIFE"**

**By**  
**Mohammad Na'im Ahmad Faraj**

**Supervisor**  
**Dr. Huthaifa Hilal Ahmad Bdair**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of  
Master of Fundamentals of Religion, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National  
University, Nablus - Palestine.**

**2024**

**THE NABULSI'S APPROACH IN THE SCIENTIFIC INTERPRETATION OF  
THE HOLY QUR'AN IN HIS BOOK: "CONTEMPLATING THE SIGNS OF  
ALLAH IN THE SOUL, THE UNIVERSE AND LIFE"**

**By**  
**Mohammad Na'im Ahmad Faraj**  
**Supervisor**  
**Dr. Huthaifa Hilal Ahmad Bdair**

**Abstract**

This researcher aims to study the Nabulsi's approach in the scientific interpretation showing its importance and to what extent it follows the general criteria of the scientific interpretation and its conditions.

The research is divided into three chapters. The first chapter gives an introduction to the scientific interpretation, its rules, and the different points of view of proponents and opponents. The second chapter examines the features of the Nabulsi's approach in interpretation with practical examples. The last chapter studies the strengths and weaknesses of the Nabulsi's interpretation with supporting examples.

The study examines the Nabulsi's huge efforts in his scientific interpretation, and how it is connected to reality.

It also shows his Arabic language competency, the use of scientific facts, and interpreting according to the most general methods neglecting the miracles.

The study, however, shows his other side of scientific interpretation that is represented in expanding the large, interpreting some general verses scientifically, and getting benefits from unreliable Hadith. These all have weakened his spiritual and scientific sides of his interpretation.

The study concentrates on the Nabulsi's efforts, balancing the strengths and weaknesses. It also reveals the researcher's conclusions.

The researcher here uses three approaches; the inductive, descriptive and analytical deductive through studying the Nabulsi's scientific interpretation in his book "Contemplating the Signs of Allah in the Soul, the Universe and Life"

**Keywords:** An-Nabulsi, interpretation, scientific